عبقرية اللغة العربية

ملاحظات على النحو والنحاة وموضوعات للبحث والدراسة والمناقشة

للدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير
جامعة المنصورة
www.geocities.com/abu-elkher

١٤٢٣هـ
٢٠٠٢م

الأصوات

قبل أن نتحدث عن عبقرية العربية ، فى صرفها ونحوها ، نستتنج بالأصوات ، مردفين إياه بقواعد الإملاء ونظام الكتابة ، ولعل نظام الأصوات فى لغتنا مما يحتاج إلى مؤلف مستقل ، ولكننا نكتفى هنا ببضع ملاحظات بما يفتح به الله ، إذ نروم هنا التركيز على الصرف والنحو :

أولاً : فى العربية الفصحى ثلاثة أنواع من الأصوات ، هى الحركات ، والصوامت وأصـــوات اللين ، الحركات هى ست ، ثلاث قصار ، الفتحة والضمة والكسرة ، ثم نظائرها الطوال (ألف المد – واو المد – ياء المد) .

أما أصوات اللين ففى العربية اثنان فقط ، الواو والياء فى مثل (وقف – يقف – خَوْف – ضَيْف) وما بقى من أصوات العربية فهو الصامت (الألفْ – الباءْ – التاءْ – الثاءْ – الجيمْ – الحاءْ – الخاءْ – الدالْ – الذالْ – الراءْ – الزاىْ – السينْ – الشينْ – الصادْ – الضادْ – الطاءْ – الظاءْ – العينْ – الغينْ – الفاءْ – القافْ – الكافْ – اللامْ – الميمْ – الهاءْ) وبذا يتكـــون نظـــام الأصوات العربية من :

حركات ٦
لـــــين ٢
صوامت ٢٦

المجموع ٣٤ وحدة صوتية

وهنا يلاحظ ما يلى :

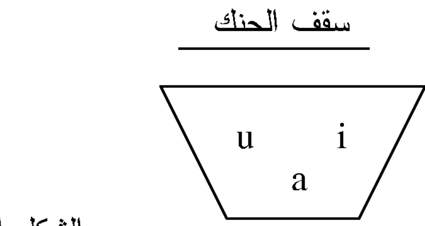
أ – نظام الأصوات العربية شديد البساطة مقارنة بغيره من نظم الأصوات فى اللغات الأخرى ، كيف ؟ نبدأ بالحركات ، وبطبيعة الحال نحن نتحدث عن الحركات فى الفصحى ، ليس اللهجات، لأن الأمر لابد مختلف حتماً .

عندنا فى الفصحى أبسط نظام للحركات فى لغات العالم ، إذ أقل عدد للحركات هو كما نص عالم الأصوات الإنجليزى أكونر :

u i
a

أى الحركة الأمامية [١] الضيقة التى تنفرج معها الشفتان أو التى نعبر عنها بالكسرة ، والحركة الخلفية الضيقة التى تنضم معها الشفتان u المعبر عنها بالفتحة ، وأخيراً الحركة المتسعة الوسطى a أى الفتحة .

هذه الحركات بالإضافة إلى عددها القليل ، فإنها إلى جانب ذلك متباعدة فيما بينها ، أو قل فى موضع اللسان فى كل منها ، واحدة أمامية جداً (الكسرة) ، والأخرى خلفية جداً (الضمة) أما الفتحة فهى وسطى متسعة جداً ، وهذا الشكل يبين موقع اللسان تجاه سقف الحنك :



الشكل الأول

وبسبب تباعد موقع اللسان فى كل حركة عن الأخرى فإن فرصة خلط المتكلم بين كل حركة وأخرى تكاد تكون معدومة تماماً .

وفى الإنجليزية مثلاً عشرون حركة [٢] ، تجد أحياناً تقارباً واضحاً بينها ، مما قد يوقع المتكلم فى الخطأ ، والسامع فى سوء الفهم ، خاصة المتكلم الأجنبى ، مثل الخلط بين / i / وبين / e / فى bid بمعنى دعوة و bed بمعنى سرير ، فشتان ما بين المعنيين .

وحركات العربية مع قلة عددها كلها حركات بسيطة غير مركبة ، لا من حركتين diphthongs أو من ثلاث triphthongs ، فى حين نجد فى اللغة الماليزية ثلاث حركات مركبة ، أما الإنجليزية فقد حظيت بتسع حركات مركبات ، مثل / ei / فى hail و / ai / فى File .

ولكن العربية بعبقريتها الفذة صنعت من هذه الحركات الثلاث البسيطة أو جعلتها صنفين، قصير وطويل ، إذ الفارق بينهما فارق فى الزمن ، فى الأساس والأصل ، فالفرق بين الفتحة وألف المد ، والكسرة وياء المد ، والضمة وواو المد هو الزمن فقط ، فإذا كانت الحركة

---

(١) الحركة الأمامية لارتفاع الجزء الأمامى من اللسان تجاه سقف الحنك ، وكذا الحركة الخلفية والوسطى نسبة إلى الجزء المرتفع من اللسان ، فأما الضيق والاتساع فسبب ضيق المسافة وسعتها بين اللسان وسقف الحنك، كما يمثله الشكل الأول .

(2) Arnold and Gimson : English pronunciation practice , P. 7 , 8 . London 1979 .

القصيرة يستغرق فى زمن نطقها ٤% من الثانية – مثلاً – فإن نظيرتها الطويلة تستغرق ضعف، أى ٨% من الثانية الواحدة .

وبذا جمع نظام الحركات العربية بين أمرين متباعدين بعيدا المنال ، هو البساطة الشديدة، التى لا بساطة بعدها فى قلة عدد الحركات ، أو قل العدد الأقل فى نظام الحركات فى كل لغات العالم ، ثم الثراء الواضح ، وبطريقة فذة عبقرية بتقسيم الحركات الثلاث إلى قصيرة وطويلة ، أو اقتبست من القصار نظائرها الطوال [٣].

ب- وعلى الجانب الآخر فإن صوامت العربية تخلو تماماً مما يسمى بالأصوات المركبة ، على حين نجد فى الإنجليزية أربعة من هذا النوع ، هى / t s / كما فى Chain و / d z / كما فى Jane و / t r / فى train و / d r / فى drain .

وفى الإيطالية أربعة / t s – d z – t s – d z / وفى لغة الهوسا ثمانية ، منها – k y / / g w – t s – t s [٤] .

وبطبيعة الحال فإن معظم هذه الصوامت يمكن أن تخلق صعوبات فى التكلم والاستماع ، لا سيما لدى الأجنبى ، فى حين لا يتوقع أن تجد صعوبات تذكر مع الصوامت البسيطة مقارنة بالمركبة .

ولا يوجد فى الفصحى المعاصرة صامت مركب غير / d z / [٥] وهو تطور عن الجيم العربية الانفجارية / g / والذى نجده الآن فى اليمن ، واللهجة القاهرية والمدن المصرية ، فى حين نجد الأول فى قراءة القرآن الكريم والريف المصرى ومعظم الأقطار العربية ، وقد تطورت الجيم المركبة / d z / إلى جيم احتكاكية محضة / z / وخاصة فى لبنان .

وهكذا يشكل خلو النظام الصوتى العربى ، صوامت وحركات – من الأصوات المركبة ملمحاً مهماً فى خصائص العربية ، مما ينأى بها عن بعض الصعوبات فى التكلم أو الاستماع ، لا سيما عند الأجنبى .

على أية حال فإن نظام الأصوات العربية الذى جمع بين البساطة والثراء يشبه إلى حد كبير منحى العربية فى الاشتقاق ، هناك أصل واحد ، أو جذر ، تتفرع منه كل المشتقات والتى

---

(٣) انظر بحثنا : المَفصِل ، المصطلح والمفهوم ، ص ٤٦٩ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ٢٠٠١م .

(٤) السابق .

(٥) فى اللهجات العربية / t s / وهو تطور عن الكاف .

تروم معانيها حول هذا الأصل ، كما فى (ك ت ب) التى يأتى منها الأفعال ، ومختلف مشتقات الأسماء ، وكلها تدور حول المعنى الذى يفهم من الأصل ، مثل (كاتب ، مكتـوب ، مكتـب ، كتاب ، كَتَبه) ... إلخ .

وهكذا كان فى العربية العدد الأكبر من الكلمات ، هذه الكلمات على ضخامتها تنتمى إلى مجموعة أقل من الجذور ، يقول المستشرق الأمريكى هيوم حوران " ما إن يتوافر لك معرفـة اللواحق والسوابق من الكلمات ، فتودعها ذاكرتك ، ومعها الأفعال المجردة ، الثلاثية الصوامت – أو الجذور – فإن يصبح بوسعك أن تشكل أية كلمة تخطر على البال " ويردف حوران " يبدو الأمر ، وكأنه التحام نطفة بأخرى فى إطار يستمد أصوله من معين العقيدة ، حيث المدد عميـق وكثيف " [6] .

ثانياً : وعند الوقف فى العربية ، لا سيما فى النثر يغيب الإعراب والتنوين ، إذ تنتهى الجملـة العربية بالسكون ، أو الحركة الطويلة ، دون القصيرة ، التى لا يوقف عليها البتة .

فالوقف على المرفوع والمجرور ، والمنصوب غير المنون ، كل هذا بالسكون فقـط ، فتقول مثلاً : (هذا رجلْ – مررت برجلْ – رأيت الرجلْ) بالسكون فـى كـلٍ ، إلا المنـون المنصوب ، الذى يوقف عليه بالفتحة الطويلة – ألف المد – ولا يوقف عليها بتنـوين مطلقـاً ، تقول (استشرت قاضياً أميناً) تقف على (أميناً) بألف مد ، بدون تنوين .

فلماذا استغنت العربية عن التنوين والإعراب فى الوقف ، برغم تميـز لغتنـا بهـاتين الظاهرتين ، إن هذا إشعار بانتهاء الجملة ، لبدء جملة أخرى ، انتهاء ما يقول المتكلم ، ومن هنا يمكن للسامع أن يبدأ كلامه ، إن كان له كلام .

وتسلك العربية ذات المسلك ، أى حجب التنوين والإعراب فى حالتين أخريين ، هما :
أ – عند نطق حروف المعجم مفردة ، فنقول : (ألفْ – باءْ – تاءْ – ثاءْ ...) إلخ ، ومن الخطأ نطقها منونة معربة ، هكذا : (ألفٌ – باءٌ – تاءٌ) ولا هكذا (أليف – بيه – تيه ...) .

---

(٦) كابلان ، روبرت : الحملة الأمريكية ، مستعربون وسفراء ورحالة ، ترجمة محمد الخـولى ، ص ٤٤١ ، القاهرة ١٩٩٦م .

تماماً كما جاء فى القرآن الكريم أوائل السور (ألفْ – لامْ – ميمْ – قافْ – صادْ) [٧] إذ لم تأت هذى الحروف منونة أو معربة – البتة – فى أى موضع من مواضعها .
ولكن حروف المعجم إذا أدرجت فى جملة ، أعربت ونونت ، كأن نقول مثلاً : (هذه ألفٌ جميلة – وباءٌ حسنة ، وتاءٌ معجمة) [٨] وهكذا .

ب- وعند العد أيضاً ، لا إعراب ولا تنوين ، فنقول (واحدْ – اثنانْ – ثلاثةْ – أربعةْ ...) إلخ، لكن إن أدخلنا العدد فى جملة عاد الإعراب والتنوين فى الكتاب الكريم " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم [٩] ...) .

والسبب فى حجب الإعراب والتنوين فى حروف المعجم والعد هو الإشعار بأن المتكلم يقصد إفراد حروف المعجم والنص عليها خاصة ، وكذا العد ، أنت تقصد النص على هذه الأعداد فقط ، بدليل أنك عندما تدخل حرف المعجم أو الرقم جاء الإعراب والتنوين ، كما سبق ، فالعربية إذن لا تفعل شيئاً بدون سبب ، أو مبرر مفهوم معقول .

ويلاحظ هنا أن الدلالة على الوقف وإفراد حروف المعجم وكذا العد ، كل هذا لم يك بتحميل الكلام مزيداً من الأعباء ، بزيادة أداة تدل على ما سبق ، بل على العكس جاء باقتصاد جزء من الكلام ، هو الإعراب والتنوين ، وهذا دأب العربية فى كثير من الظواهر ، كما سنرى فيما بعد .

وهذا المنحى يشير إلى أن لغتنا تحقق المعادلة الصعبة التى يرومها المرء فى كلامه ، ألا وهى الجمع بين الإفهام والاقتصاد فى الكلام ، بل الإنسان يلهث خلف هذى المعادلة فى شتى مناحى حياته ، أى الوصول إلى الهدف بأيسر مجهود ممكن .

وهكذا الإنسان عندما يصل درجة الإجادة والمهارة فإنه يحقق هدفه بأقل مجهود وأيسره، فى الكلام ، وفى غير الكلام ، فعندما يصل المتعلم إلى درجة إجادة لغة ما فإنك تجده يعبر بأقل تعبير وأقصره ليصل بسهولة ويسر إلى الإبانة والإفصاح بأوجز عبارة ، ومن ثم قال العرب (البلاغة الإيجاز) .

---

(٧)
(٨) أبو الخير – المصطلح اللغوى فى القرآن الكريم ، ص ٨٧ ، ٨٨ ، ١٩٩٤ م .
(٩) ٢٢ الكهف .

ولن وا أسفاه ! وا عجباه !! إن بعض المتخصصين فى العربية ، وهم سبب مهم بل سبب رئيس من أسباب أوجاعها ، لا يلتزمون بقاعدة الوقف ، إلا فى نهاية الجملة ، ولا مع حروف المعجم أو العد ، ولا نريد القول بأنهم ربما لا يعرفون هاتيك القاعدة ولا ينتبهون لها أو لوجودها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ثالثاً : بقى أن نذكر عن أصوات لغتنا إشارة عجلى إلى نظام المقاطع العربية ، والتى تنقسم إلى ستة أنماط : (ص ح – ص ح ح – ص ح ص – ص ح ص ص – ص ح ح ص – ص ح ح ص ص) وهنا يلاحظ ما يلى :

١- إن المقطع العربى لا يبدأ بغير الصامت ، لكنه ينتهى بالصامت أو بالصامتين – أو بالحركة، طويلة أو قصيرة ، فالعربية تجمع هنا بين النمطية التى لا تتخلف ، أو القاعدة الثابتة ، فى بدء المقطع وبين المرونة الواضحة فى غلق المقطع بالصامت ، واحداً أو اثنين، أو بالحركة طويلة أو قصيرة .

وهكذا تجمع العربية بين بدء المقطع بصامت واحد فقط ، ليس صامتين البتة ، وبين انتهاء المقطع بأربعة أشكال ، الحركة القصيرة ، أو الطويلة ، أو الصامت ، أو حتى صامتين اثنين .

٢- وفى تتابع المقاطع تكره العربية توالى المقاطع المفتوحة القصيرة (ص ح) وفى هذه الحالة تغير العربية من هذا التوالى ، وتتخلص منه ، كما يحدث مثلاً فى إسناد الأفعال إلى الضمائر المتحركة :

Kataba + tu ⟶ Katabatu

ولكن العربية لا تقول (كَتَبَتُ) بتوالى أربعة مقاطع مفتوحة ، فتقوم بإغلاق أحد هذى المقاطع ، وهو المقطع قبل الأخير ، لتصبح الصيغة كَتَبْتُ .

وهكذا قطعت العربية هذه النمطية عندما زادت عن حدها ، فلم تسمح بتوالى أربعة مقاطع من نوع واحد ، كما راينا عند إسناد الفعل إلى الضمائر المتحركة .

رابعاً : نظام الكتابة : يجب أن نشير هنا إلى أن ما سبق فى (أولاً – ثانياً – ثالثاً) كل هذا يخص نظام اللغة نفسها فى المقام الأول ، أما الحديث عن نظام الكتابة فهو من صنع علماء اللغة، وهم جزء من أصحاب اللغة .

لقد أبدع هؤلاء العلماء نظاماً للكتابة يتسق مع عبقرية اللغة نفسها ، إذ اللغة – فى نظرنا – ليست ساعى بريد ينقل الرسالة من المتكلم إلى السامع ، ولكنها ذات تأثير كبير فى أصحابها ، إذ يطبعهم بطابعها وخصائصها ، ومن ثم فإن نظام الكتابة فى لغتنا يتميز بعديد من المميـزات والسمات ، هى :

١- يقول بعض منتقدى نظامنا الكتابى بأن النظام أغفل إدراج الحركات فى صلب الخط ، والحق أن هذى مقولة خاطئة تماماً ، لأن الحركات قسمان طويلة ، وقصيرة ، أما الأولى فقد رُمز لها بـ (واى) الأولى للضمة الطويلة : u ، والثانية للفتحة الطويلة : a ، والأخيرة للكسرة الطويلة : I .

فإن قصد بالحركات هنا القصيرة منها فهذا صح وصحيح ، لكن هذا ليس عيباً ، وإنما هو ميزة ، لأنه نوع من الاختصار ، وعند الحاجة أو الاقتضاء يلحق الكاتب ما شاء من رموز الحركات القصار ****

فالكتابة هنا حلت نصف اللغز ، وهو كتابة الحركات الأطول ، وتركت القصيرة تكتب عند الحاجة ، حتى يكون لدى القارئ فرصة للتفكير فيما يقرأ ، ولو أهملت الحركات لكان هذا إرهاقاً لمن يقرأ فى التفكير ، ولو كتبت كلها لكانت المسألة نمطية مائة فى المائة ، فلا يعمل المرء عقله ألبتة عند القراءة .

وهذه الظاهرة ليست بدعاً هنا ، وإنما سوف نجد لها أمثلة عديدة فى الصرف والنحو ، كما سيأتى .

٢- فى كتابة الهمزة العربية يراها بعض المنتقدين أمشاجاً وأخلاطاً من القواعد والشواذ والاستثناءات ، والواقع أن هذا يعكس بالضبط عقلية بعضنا التى لا تعرف غير هذا النوع من التفكير المشتت .

لقد درست قضية كتابة الهمزة مطبقاً على ألف كلمة عربية فكانت النتائج : ٨٠% خضعت قولاً واحداً لقاعدة أقوى الحركتين ، فإذا جاءت الهمزة بين كسر وضم كتبت على ياء – نبرة – لأن الحركة الأقوى هى الكسر ، فإذا جاءت بين ضم وفتح كتبت على واو ، لأن الحركة الأقوى هى الضم ، فإذا وقعت بين فتح وسكون ، تكتب على ألف ، ولا عبرة بالسكون – الصامت الساكن – لأنه ليس بحركة .

أما الحركات الطوال فإنها تنضم لنظائرها القصار ، ولا توضع مع السكون البتة ، معنى هذا أن الفتحة الطويلة توضع مع القصيرة ويسمى الفتح ، وهكذا مع الضمة الطويلة والضمة القصيرة = الضم ، والكسرة الطويلة والقصيرة = الكسر ، وهكذا .

فأين العشرون فى المائة الباقية ؟ لقد خضعت لقوانين أخرى أهم من قانون الحركة الأقوى أو الأولى ، وهاك الإيضاح :

أ – كراهة توالى الواوين والألفين ، ففى مثل (رءوف – تبوُّء – قراءة قرآن) مخالفة لقاعدة أقوى الحركتين ، فى المثالين الأولين كان علينا أن نكتبهما (رؤوف – تبوؤ) لأن الضم هو الحركة الأقوى ولكن هذا يصطدم مع قاعدة أخرى أهم ، هى كراهة توالى واوين فى كتابة الهمزة ، ولذا سقطت إحدى الواوين ، وانكتبت الهمزة على السطر ، وكان حقها طبقاً لقاعدة أقوى الحركتين أن تكتب على واو .

وطبقاً لذات القاعدة كان علينا أن نكتب المثالين الأخيرين (قراأة – قرأان) فإن الحركة الأقوى هى الفتح هنا ، فحق الهمزة أن تكتب على ألف ، ولكن العربية عدلت عن هذا لكراهة توالى الألفين .

وانظر إلى نظام الكتابة فرق بين توالى (ا أ) أى ألف مد فهمزة والتى تحولت إلى (اء) وبين (أ ا) همزة فألف مد فكانت (آ) :

ا أ ←[١٠] ا ء

أ ا ← آ

وفى المثالين الأولين (ؤو ← ءو – وؤ ← وء) وكل هذا نوع من الاختصار ، وهكذا كان التمييز بالسلب ، أى بالنقص ، مما يوكد مرة أخرى أن العربية تجمع بين الاقتصاد والإفهام ، بميلها الدائب إلى الاختصار .

ب- عندما توالت واوان فى (رؤوف) كتبت الهمزة على السطر ، هكذا (رءوف) ولكن فى مثل (مسؤول) لم تكتب الهمزة على السطر ، ولكن على نبرة ، فلماذا ؟ لأن الكتابة العربية تخضع لمبدأ مهم هنا ، هو وصل الحروف ، ما أمكن ؟ فكل الحروف الثمانية والعشرين توصل من أولها ومن آخرها ، عدا ستة حروف ، هى (ا – و – ذ – ذ – ر ز) فإنها لا توصل بما بعدها ، ولكن توصل بما قبلها فقط ، ولذا فإنه إذا وقع قبل الهمزة

---

(١٠) ← هذا السهم معناه تصبح .

حرف من هذه الستة عند توالى الواو كانت الهمزة على السطر ، لأن هذه الستة لا توصل بما بعدها ، ولذا كانت الهمزة فى مثل (دءوب – رءوم) على السطر ، فى حين تجد الهمزة فى مثل (شئون – قئول) على نبرة ؛ لأن الشين والقاف مما يوصل بما قبله وما بعده .

جـ- وكذا الشأن فى مثل (ضوءا – هدوءا – ردءا) تكتب على السطر ، فى حين تجدها فى مثل هذى الكلمات التى على نفس الوزن تقريباً (شيئاً – ملئاً – دفئاً) على نبرة ؟ لأن ما قبل الهمزة فى الأمثلة الأخيرة يوصل بما قبله وما بعده ، فى حين جاء ما قبل الهمزة فى الأمثلة الأولى من الحروف الستة السابقة التى لا توصل بما بعدها ، فكان لابد أن تأتى مفردة على السطر ، فى حين رأينا الهمزة على نبرة بسبب قاعدة الكتابة العربية (وصل الحروف ما أمكن).

ونتساءل أيضاً لماذا كتبنا (مائة) بهذا الشكل ، وكان حقها أن تكتب على ياء ؛ لأنها وقعت بين كسر وفتح ، فالحركة الأقوى هى الكسر ؟ حتى لا تختلط بكلمة (فئة) وفى هذا خطورة شديدة ؟ لأن (مائة) هى عدد تتعلق به الحقوق والالتزامات ، فإذا كتبنا مثلاً (سوف أدفع مئة ألف جنيه) فمن السهل جداً أن توضع نقطة على الحرف الأول لتصبح الكلمة (فئة) ومن ثم فإن علىَّ أن أدفع ألف جنيه فقط ، بدل مئة ألف ، وكذا يمكن أن تتغير الفئة إلى (مئة) بإزالة النقطة الأولى بسهولة شديدة ، ومن ثم كتبت هكذا (مائة) حتى لا تختلط بكلمة (فئة) .

هـ- فى مثل (هيئة – خطيئة) حق الهمزة أن تكتب على ألف هكذا (هيأة – خطيأة) لأنها وقعت بين سكون وفتح ، والأخير أقوى من السكون ، ولكن الهمزة انكتبت على نبرة ؟ لأن الياء الساكنة المفتوح ما قبلها عوملت معاملة ياء المد ، وعليه وقعت بين كسر وفتح ، والكسر أقوى فحق الهمزة إذن أن تكتب على ياء – نبرة – وهكذا .

فمتى عوملت الياء الساكنة المفتوح ما قبلها معاملة ياء المد ؟ كان هذا فى رواية ورش عثمان بن سعيد (ت ١٩٧هـ) عن نافع بين أبى نعيم (ت ١٦٩هـ) عندما عوملت الياء – وكذا الواو – الليِّنتان معاملة الحركة الطويلة فحدث لهما مد قبل الهمز والسكون ، نحو (شَىءْ – قروءْ) بكسرة ،وضمة طويلتين [١١] .

---

(١١) الدمياطى : الإتحاف ، ص ٤١ .

وعليه فإن الهمزة وسط الكلمة تخضع فى ٨٠% من مواضعها لقاعدة أقوى الحـــركتين أما العشرون فى المائة الباقية فتخضع لقواعد أخرى هى (كراهة توالى الواوين أو الألفـــين – وصل الحروف ما أمكن – معاملة الياء الساكنة المفتوح ما قبلها معاملة الكسرة الطويلة) .

٣- ونتساؤل عن جدوى زيادة بعض الحروف ، مثل الألف فى مثل (ذهبوا – اذهبـــوا – لـــم يذهبوا) وتسمى الألف الفاصلة أو الفارقة ، ولا تكون إلى مع الفعل المسند لواو الجماعـــة فقط ؟ لأن واو الجماعة ركن أساسى مهم من أركان الجملة إذ هى فاعل أو نائبـــه أو اســـم كان أو أحد أخواتها ... إلخ .

فإذا لم تك ركنا فى الجملة ، أى لم تك للجماعة بأن كانت نهاية الفعل ، مثل (يرجو – يدعو) فلا توضع الألف ، وكذا الواو فى نهاية الاسم ، مثل (مهندسو المشروع – هـــم أولـــو فضل – ذوو أموال – بنو آدم) ... إلخ .

إذن توضح الألف أمام واو الجماعة فقط ؛ لأنها ركن من أركان الجملة فإن لم تك كذلك فى الفعل أو الاسم ، فلا محل للألف .

وكذا وضع الواو فى (عَمْرو) لتفرق بين هذه الكلمة وبين (عُمَر) وهى ممنوعة من الصرف ، شرط أن لا تكون الأولى منونة منصوبة ، نحو (أخبرت عمرا بما حدث) والســـبب أن الألف قد دلت على أن الكلمة منونة وأنها ليست (عُمَر) الممنوعة من الصرف ؛ لأنا إن لم نكتب الألف فى حالة النصب ، فسوف نقرؤها (أخبرت عُمَرَ بما حدث) بدون تنوين (عُمَرَ).

وكذا زيادة اللام فى اسم الموصول للمثنى المذكر (اللذان – اللـــذَيْن) وذلـــك للتفرقـــة بينهما خاصة ما كان بالياء وبين اسم الموصول لجمع المذكر (الذين) بلام واحدة .

وعلى العكس مما سبق نجد الكتابة فى بعض الأحيان تحذف بعض الحروف مثل :

- تحذف الألف فى (ابن) إذا وقعت بين علمين ، وذلك للدلالة علـــى أن الثـــانى أب أوجـــد للثانى، فإن لم يكن كذلك كتبت الألف ، كما نقول مثلاً (السادات ابن مصـــر البـــار) لأن البنوة ليست حقيقية ، إنما مجازية ، وكذا لوقعت كلمة (ابـــن) أول الســـطر ؛ لأن بدايـــة السطر تعنى بدء وحدة كتابية جديدة مستقلة عن سطرها السابق .
- وانظر إلى العربية تحذف ألف الوصل فى (اثنتان ←—— ثِنتان – اثنتين ←—— ثِنتين) ولكنها لا تحذف فى المذكرين (اثنان – اثنين) لأن كمية الكلمة هنـــا وعـــدد حروفهـــا لا يسمح؛ لأنها أقل من المؤنثتين (اثنتان – اثنتين) وهكذا لا تجد فى الكتابة العربية نمطيـــة

وإنما تجد لكل حادث حديث ، ولكل حالة ما يناسبها ، ولو كانت الكتابة نمطية لحذفت ألــف الوصل فى كل الأمثلة ، أو بقيت فى كل الأمثلة .

انتهى الآن ما رُمْنا تسطيره حول الأصوات والكتابة ، وآن الانتقال إلى ما يليهما :

ونكتب هنا ما عنّ لنا من ملاحظات على الصرف العربى ، تصب فى اتجاه عبقرية العربية :

أولاً : فى صياغة أفعل التفضيل لابد للفعل الذى نشتق منه أن تتوافر فيه الشروط الآتية : أن يكون (متصرفاً – ومعناه يقبل التفاوت والتفاضل – ثلاثياً – تاماً – الصفة منه على غير أفعل للمذكر ، وفعلاء للمؤنث – مثبتاً – مبنياً للمعلوم) .

فإذا غاب شرط من هذه الشروط ، فما الحل ؟ قسمت العربية الشروط إلى ثلاثة أقساماً :

١- الفعل غير المتصرف أو الجامد وكذا ما لا يتفاوت معناه ، ولا يتفاضل ، هذا النوع من الأفعال لا ياتى من تفضيل البتة ؟ فالفعل الجامد مثل (ليس – عسى) لا يشتق منه شيء، لا تفضيل ، ولا غيره ، وكذا الفعل الذى لا يتفاوت معناه مثل (مات – فنى – هَلَك) وهذا شيء منطقى تماماً .

٢- أما الفعل غير الثلاثى والناقص وما كان الصفة منه على وزن أفعل للمذكر ، وفعلاء للمؤنث ، مثل (تحرىّ – يصير [١٢] – حَمِر [١٣]) فإننا نأتى من المصدر مما سبق صريحاً أو مؤولاً ، وقبل المصدر نأتى باسم التفضيل من فعل مناسب للمعنى المراد ، نحو (هو أدق تحريا للحق – وأكثر صيرورة للحق – وأشد حمرة) فهنا جاء المصدر صريحاً ، ويمكن أن يأتى مؤولاً (أن يتحرى – أن يصير ... إلخ) .

٣- فغذا كان الفعل منفياً أو مبنياً للمجهول جيء بالتفضيل من فعل مناسب يليه المصدر مؤولاً فقط ، غير صريح ، لماذا ؟ حتى نظهر النفى والبناء للمجهول ، وهو ما لا سبيل إليه فى المصدر الصريح ، قال تعالى : (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً ، وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله [١٤]) فالفعل (لا يعلمون) جيء بالتفضيل منه بمصدر مؤول حتى يظهر النفى ، كما أشرنا .

وفى الفعل المبنى للمجهول (يُحفظ – يُقرأ) لابد من مصدر مؤول ، غير صريح ليظهر البنءا للمجهول فنقول مثلاً (القرآن أحق أن يُحْفظ – وأجدر أن يُقرأ) وهكذا .

---

(١) صار من أخوات كان ، فهى ناقصة مثلها .

(٢) الوصف (أحمر) على وزن (أفعل) فكيف يكون التفضيل منه ، وهو على نفس الوزن ، وللمؤنثة (حمراء) على وزن (فعلاء) .

(٣) ٩٧ التوبة .

ومع هذا سمحت العربية بصياغة اسم التفضيل من الفعل المستوفى للشروط بذات الطريقة السابقة ، أى بالمصدر الصريح أو المؤول ، أو الصياغة من الفعل نفسه ، قال تعالى : " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهى كالحجارة أو أشد قسوة [١٥] – الأعراب أشد كفراً " بدل (أقسى – أكفر) وربما يكون هذا لأسباب بلاغية .

ثانياً : وفى النسب عدة ملاحظات ، منها :

١- إذا انتهت الكلمة بهمزة ممدودة ، أى قبلها ألف مد – نظر إلى نوع الهمزة هل هى أصلية أو جاءت للتأنيث أو غير ما سبق ، فإن كانت أصلية بقيت كما هى عند النسب ، مثل (ابتداء – إنشاء) فالهمزة هنا أصلية ، من أصل بنية الكلمة ، فأصل الكلمتين (بدأ – نشأ) ولذا كان النسب (ابتدائى – إنشائى) ببقاء الهمزة فيهما .

لكن الهمزة إن كانت للتأنيث ، وليست من أصل الكلمة انقلبت إلى واو ، نحو (صحراء ← صحراوى – حمراء ← حمراوى) فانقلاب الهمزة إلى واو – قولاً واحداً – دلالة على أن هذه الهمزة قد جاءت للدلالة على التأنيث . وعندما تكون الهمزة غير أصلية ، وليست للتأنيث ، بأن تكون منقلبة عن أصل نحو (صفاء – بناء [١٦]) بقيت كما فى (صفائى – بنائى) أو انقلبت إلى واو ، فنقول (صفاوى – بناوى) وكذا لو كانت زائدة لغير التأنيث ، مثل (حرباء) قلنا (حربائى – حرباوى) .

٢- فى النسب إلى المختوم بياء مشددة تفرق العربية بين حالات ثلاث :

أ – إذا كان قبل الياء المشددة صامت واحد ، قسمت العربية الياء المشددة [١٧] إلى ياءين ، الأولى ساكنة ، والثانية متحركة ، أما الياء الأولى فأعيدت إلى اصلها ، واواً أو ياء ، واما الثانية فقلبت واوا ، مثل (حىّ ← حيوى) * .

ب- إذا كان قبل الياء صامتان (حرفان) فإن تعامل العربية يختلف مع الياء المشددة ، إنها تحذف الياء الأولى فقط ، أما الثانية فتقلب واو ، كما فى الحالة الأولى ، نقول (نبىّ ← نبوى – أمية ← أموى) .

---

(١) ٧٤ البقرة .

(٢) فهما فى الأصل (صفاو – بناى) لأن فعليهما فى الأصل (صفوَ – بَنَىَ) .

(٣) كان أحد أساتذتنا يحفظنا (الحرف المشدد حرفان ، الأول ساكن ، والثانى متحرك) وهكذا الياء المشددة وغيرها .

* دون أن تحذف شيئاً من الياءين ، لا الأولى ، ولا الثانية .

جـ- إذا كان قبل الياء المشددة ثلاثة صوامت (أحرف) حذفت الياء المشددة كلها ، أى الساكنة والمتحركة كلتيهما ، نحو (شافعىّ ←شافعى) حيث تحل ياء النسب المشددة محل ياء الكلمة ، فكيف نفرق بين الكلمة المنسوب وبين المعطلة عن النسب ؟ يفرق بينهما بواسطة السياق ، فعندما نقول (محمد شافعي المذهب) فهنا نسب أما قولنا مثلاً (الشافعي صاحب المذهب) فالكلمة الأولى خلو من النسب .

وقد تميز العربية بين المنسوب وغيره إذا انتهيا بياء مشددة فى كليهما بطريقة أخرى ، ففى (كراسىّ) المنتهية بياء مشددة تجدها ممنوعة من الصرف إذ كانت غير منسوبة ، لماذا ؟ لأن الكلمة من صيغة منتهى الجموع ، فإن كانت الكلمة منسوبة صرفت ونونت لزوال صيغة منتهى الجموع ، بل لم تعد الكلمة جمعاً على الإطلاق ، وذلك بعد النسب إليها .

ولو كانت العربية لغة نمطية لما فرقت بين الكلمة بالنسب ومن غير نسب ، لأن الشكل واحد ، وكذا مراعاة العربية لبنية الكلمة هنا ، فإن كان قبل الياء المشددة صامت (حرف) واحد أبقت العربية على الياء المشددة كلها ، صحيح أنها أرجعت الياء الأولى إلى اصلها ، وقلبت الثانية واوا ، ولكنها حذفت الياء الأولى وقلبت الثانية واوا أيضاً إذا كان قبل الياء المشددة صامتان (حرفان) فإن كان قبل الياء ثلاثة صوامت (أحرف) أو أكثر حذفت الياء مشددة كلها، دون الإبقاء على شيء منها .

إن الكلمة عندما تنتهى بياء مشددة لابد من التصرف مع هذه الياء لأن أداة النسب هى ياء مشددة ، وقد تصرفت العربية بشكل عبقرى مميز ففرقت بين الكلمة صغيرة الحجم ، عندما يكون قبل الياء صامت واحد ، وعندما تكون متوسطة الحجم – قبل الياء صامتان – وبين الكلمة إذا كان قبل الياء ثلاثة صوامت فأكثر ، ولو كانت العربية لغة نمطية لحذفت فى جميع الأحوال أو أبقت على الياء فى كل الأحوال ، أو قسمتها فى كل مثال .

٣- وفى النسب أيضاً إذا كانت الياء مشددة فى وسط الكلمة مكسورة حذفت الياء المكسورة وبقيت الساكنة ، مثل (طيِّب ← طيْبى) بسكون الياء ، ولكن الياء إذا كانت مفتوحة فإن الياء المفتوحة تبقى ، نقول (هَبَيَّخ ← هبَّيخى) لأن ياء النسب المشددة قبلها كسرة ، ومن ثم اجتمعت كسرتان ، هكذا tayyibiyy فتخلصت العربية من إحدى الكسرتين .

ولم تكن العربية لتتخلص من كسرة ياء النسب حتى لا يختلط الأمر على السامع ، فاختارت الكسرة قبلها ، أما إن كانت الياء مفتوحة ، فإن العربية تبقيها ، حيث لا تكره العربية توالى فتحة فكسرة ، على عكس توالى كسرة فكسرة ، كما سبق .

بل إن العربية فى أمثلة أخرى غيرت الكسرة – فى الكلمة – قبل كسرة ياء النسب إلى فتحة هروباً من تتابع كسرتين ، وإن فرق بينهما صامت ، ففى مثل (إِبِلَ نَمِر) النسب إليهما (إبَلى – نمَرى) بفتح الباء والميم ، كل هذا هروبا من توالى كسرتين .

٤– نختم الحديث عن النسب بلفته عربية طريفة ، فغذن كان الاسم قد جاء على صامتين (حرفين) جاز لك أن تضعف الثانى لزيادة حجم هذه الكلمة الصغيرة ، مثل (كَمْ ← كمِّيّة) إن العربية لم تنس هذا الكلمة فى صغر حجمها فأرادت تقويتها ، أو زيادة حجمها ، فأباحت مضاعفة ثانيها ، بدليل أن أنها لم تجر هذا فى الكلمات إن زادت عن صامتين .

ثالثاً : وانظر إلى العربية فيما يسمى بالتصغير ، عندها ثلاث صيغ (فُعَيْل) للثلاثى ، مثل (بحر ← بحير – كلب ← كليب) ثم (فعيعل) نحو (ملعب ← مليعب – درهم ← دريهم) وما زاد عن أربعة (فعيعيل) نحو (قنديل ← قنيديل – عصفور ← عصيفير) .

ولكن الكلمة قد تطول ، فيصبح تصغيرها بزيادة ياءين ، أو حتى ياء واحدة أمراً مزعجاً ، ولذا أعطت العربية للمتكلم حق استبعاد زوائد الكلمة ، وتصغير الكلمة فى أصولها فقط ، تاركة للسياق والقرائين الموجودة فى الكلام مهمة التمييز بين تصغير الكلمة كلها بزوائدها ، أو تصغير الأصول فقط .

وتسمى العربية هذا النوع من التصغير باسم تصغير الترخيم ، مثل (أحمد) تجرد من الزيادة تصبح (حمد ← حميد) بدل (أحيمد) ومثل (قنديل – عصفور) إذا جردناهما من الزيادة بحذف الياء والواو فى كليهما كان التصغير (قنيدل – عصيفر) بزنة (فعيعل) بدل (قنيديل – عصيفير) على وزن (فعيعيل) .[1]

ثالثاً : وفى إسناد الفعل إلى ضمائر الرفع يلاحظ ما يلى :
١– إذا أسند الناقص إلى واو الجماعة فرقت العربية بين المنتهى بالألف والمنتهى بغيره ؟ قارن بين (يَرْضَى ← يرضَوْن) وبين (يُرضِى ← يُرضُون) .

في المثال الأول كانت واو الجماعة واوا ساكنة قبلها فتح ، وفى الثانى كانت الواو حركة محضة / u : / تماما كما فرقت العربية بين الاسم المنقصوص المنتهى بكسرة طويلة / i : / والاسم المقصور ، المنتهى بفتحة طويلة ، وذلك فى جمع المذكر السالم ، قارن بين (المصطفى ⟵ المصطفُون) .

وفضلاً عما سبق فرقت العربية بين المنقوص والمقصور فى الكتابة ، وذلك عند التنوين، فنقول (هذا رجل مشترٍ غير مدعٍ) بحذف الياء بسبب التنوين ، فى حين لم تحذف نهاية الكلمة فى المقصور (هذا سيء مشترَى غير مدعَى) .

وفى حالة النصب ظهرت الفتحة على المنصوب المنقوص فقط ، ولا تظهر مع المقصور ، نقول (رأيت المشتريَ والمشترَى) فظهرت فى الكلمة الأولى ، المنتهية نطقاً بياء ، ولم تظهر فى الثانية المنتهية بفتحة طويلة ، فلا سبيل إلى ظهور الفتحة فى الأخيرة البتة ، حيث لا تلتقى فى العربية حركتان على الإطلاق .

٢- وعند التقى ساكان عند إسناد (ليس) إلى ضمائر الرفع المتحركة ، تخلصت العربية من التقاء الساكنين بحذف الياء من (ليس) لتصبح (لسْت – لسْنا – لسْن) وأبقت على سكون البناء لأنه من دلالات الإعراب ، وكذا الضمائر (التاء – نا – نون النسوة) لابد من سكون ما قبلها .

النحو

فى النحو قضايا عديدة بحاجة إلى دراسة ، وإعادة نظر ، بل إمعان النظر ، وها نحن نشير إلى بعض هذى القضايا التى تعد – من وجهة نظرنا – من دلائل عبقرية العبقرية ومفردات هذى العبقرية :

أولاً : حروف الجر :

وهنا نرى مشكلتين مهمتين فى قضية حروف الجر ، هما :

١- معنى حروف الجر : كل ما نحاول أن نذكره عن هذى الحروف هو الأثر الإعرابى لهاتيك الحروف فقط ، وعلامة الجر ، هل هى الكسرة ، أو الفتحة ، أو الياء ... إلخ مع أن القدماء أفاضوا فى معانى تيك الحروف ، وهو إشارة إلى أهمية هذا الجانب من القضية .

ولذا فإن الأمر بحاجة إلى دراسة دلالية لحروف الجر ، تتجاوز هَمَّ الإعراب ، وعلامة الإعراب ، فإنى لأرى حرف الجر شديد التأثير فى الجملة ، لا سيما فى الجانب الدلالى ، إذ القضية ليست قضية تغيير فى معنى الفعل ، أو تضمينه معنى آخر ، غير معناه المألوف لنا ، ولكن القضية تكمن فى الأثر الخطير لحرف الجر فى معنى الفعل ، وهذا تفصيل ما أجمل :

أ – فى قول الله تعالى : " واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان [١٨]... " المرة الوحيدة التى يتعدى الفعل بحرف الجر (على) مع أن الفعل فى كل مواضعه فى القرآن الكريم تعدى بنفسه ، دون حاجة إلى أى حرف من حروف الجر ، مثل قول الله – تعالى : " وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك ، إذا لارتاب المبطلون [١٩] " .

وشتان بين معنى الفعل مع حرف الجر (على) ومعناه بدون هذا الحرف ، إن معنى (تتلو ... على) فى الآية هو (تكذب) وبدون (على) المعنى (تقرأ وتتبع [٢٠]) .

ب- ليس المثال الذى سبق فقط ، بل هناك عديد من الأمثلة يتحكم حرف الجر وحده فى معنى فعله ، نذكر منها :

- رغب عن ورغب فى .
- شهد له ، وشهد عليه .

---

(١) ١٠٢ البقرة .

(٢) ٤٨ العنكبوت .

(٣) انظر كتابنا : من ألفاظ العربية فى القرآن الكريم ، ص ١٧٠ .

- ادخر عنه وادخر له .
- هاجر فى ، وهاجر إلى .
- سار فى ، وسار إلى ، وسار من .
- نظر فى ونظر إلى .

جـ- ومن ناحية أخرى فإننا لا ننسى أن الظرف أيضاً له دور فى تغيير معنى الفعل ، نحو :
- إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً [21] .
- ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين [22] .

إن معنى الفعل (فتحنا) فى الآية الأولى هو (نصرنا) والمقصود به [23] فتح مكة ، أما فى الآية الثانية فإن المعنى (احكم) أى (بيننا وبين قومنا بالحق) ولا شك أن الظرف (بين وبين) وبهذى الطريقة هو الذى غير معنى الفعل .

د – بل إن حرف الجر قد يغير صيغة الفعل نفسها ، قال تعالى : " لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت [24] " فقد جاءت اللام مع المجرد (كسب) فى حين جاءت (على) مع الصيغة الأخرى المزيدة (اكتسب) .

٢- حرف الجر الزائد :

ومعنى الزيادة هنا أن الحرف لا يمنع ما بعده من إعرابه ، ولا يحتكره لنفسه ، ففى قوله تعالى : " ما جائنا من بشير [25] " المعنى (ما جاءهم بشير) وهكذا تعرب الكلمة بعد حرف الجر الزائد فى مواضعها ، أى تعرب حسب موقعها فى الجملة ، كأن حرف الجر ليس موجوداً، ويقتصر تأثيره على الجر الظاهرى فقط ، دون المعنى وتركيب الجملة .

هذا من الناحية الإعرابية الشكلية البحتة ، أما من الناحية الدلالية فإنه لا يمكن القول بان حرف الجر الزائد لا علاقة له بالمعنى ، أو ليس له وظيفة ، أو جدوى ، وهذه قضية أخرى بحاجة إلى دراسة وبحث .

---

(١) ١ الفتح .
(٢) ٨٩ الأعراف .
(٣) النسفى ٤ / ١٥٦ .
(٤) ٢٨٦ البقرة .
(٥) ١٩ المائدة .

أن معانى حروف الجر بحاجة إلى إعادة النظر فيها من خلال ما ذكر قدماء النحاة ، ومن خلال النصوص المختلفة ، لا سيما النص القرآنى وأحاديث سيد الخلق ﷺ ومن خلال دواوين الشعراء أيضاً ... إلخ وذلك من وجهة نظر دلالية وبلاغية دون أن نحصر أنفسنا فى الإعراب والحركة الإعرابية .

وكذا ما يسمى بحرف الجر الزائد ، بل كل ما اعتبره النحاة من الزوائد [٢٦] ، إن وسْم أى حرف أو كلمة بالزيادة ليتناقض تماما مع فكرة الاقتصاد فى اللغة ، ولا يمكن أن يوجد حرف – أى حرف – يكون زائداً ، لا دور له فى المعنى ، ومن هنا يحتاج موضوع حرف الجر الزائد إلى دراسة دلالية ، أو قل بلاغية حتى تتضح القضية من جميع جوانبها .

فهل يلجأ المتكلم لحرف الجر الزائد للجم الحركة الإعرابية ، أو سجنها فى دائرة الجر فقط ، حتى لا يتوزع تفكيره بين الرفع والنصب والجر ، فينصرف إلى الجر فقط ؟

أما أن حرف الجر الزائد ، أو غيره من الزوائد ، قد جاء زينة فى الكلام وحليا لتوشية موسيقى الجملة ، وإيجاد توازن مقصود فيها ، كما يفعل الرسام عندما يزيد بعض الأشياء فى لوحته بغية التوازن فى اللوحة المرسومة ؟ كل هذى الافتراضات بحاجة إلى تفكير وتحقيق ودراسة .

ثانياً : ارتباط النحو بالدلالة :

يرتبط النحو ارتباطاً وثيقاً بالدلالة والمعنى ، ومع هذا فقد نرى دراسة النحو منعزلة انعزالاً واضحاً عن المعنى ، وهذان مثالان لارتباط النحو بالدلالة :

١- الفعل (ظن) : ومشتقاته ينصب مفعولين إذا كان بمعنى (شك) تقول (ظننت السرابَ ماء) المفعولان (السراب – الماء) ولكن ذات الفعل ينصب مفعولاً واحداً ، إن كان بمعنى (اتِّهم) تقول (كسر الزجاج فظننت الغلام – سرق البيت فظننا الخادم) فقد نصب مفعول واحد للفعل (ظن) فى الجملتين ، فى الأولى (الغلام) وفى الأخرى (الخادم) لأن الاتهام لابد أن يوجه إلى جهة واحدة محددة ، ومفعول واحد ، ليس أكثر ، على الظن الذى

---

(١) مثل (لا) الزائدة ، نحو " وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون " ١٠٩ الأنعام ، أى (سوف يؤمنون) أو (ما) فى نحو " حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم " ٢٠ فصلت ، والمعنى (إذا جاءوها) أو (أنْ) نحو " ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم " ٣٣ العنكبوت ، أى (ولما جاءت ...) ففى موضع آخر " ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم " ٧٧ هود ، كل هذى الحروف وغيرها بحاجة إلى دراسة ، من خلال النصوص الموثقة ، لا سيما القرآن الكريم بقراءاته المختلفة .

يمكن ان يتجه إلى أكثر من مفعول ، لأن الاتهام شيء خطير ، تترتب عليه تبعات قانونية ونفسية واجتماعية فلا تساق إلا بعد تحديد مفعول واحد فقط لأي اتهام .

٢- كان التامة والناقصة : الأولى ترفع الاسم الذى يليها على أنه فاعل ، أو نائب للفاعل ، كما فى " وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة [٢٧] " فى قراءة الرفع ، تعرب (ذو) فاعل ، وكذا فى " كن فيكون " نائب الفاعل مستتر فى الفعل ، لأن المعنى فيما سبق من أمثلة هو (وجد) من الإيجاد .

أما كان الناقصة – وكذا مشتقاتها – فتنصب الخبر وترفع الاسم ، كما فى قراءة " وإن كان ذا عسرة ... " فلماذا كانت ناقصة هنا وتامة هناك ؟ إنها تامة عندما تعبر عن الوجود الأول ، الأصلى المطلق ، فى الحديث القدسى " كان الله ولا شيء معه " هذا هو الوجود الأول ، ولكن الوجود الطارئ المتجدد ، أو الصفات التى تتفرع عن هذا الوجود الأول فهو من اختصاص (كان) الناقصة ، التى تشير إلى صفة تفرعت عن الصفة الأهم والأساس – أى الوجود مطلقاً – مثل " إن الله كان غفورا رحيما [٢٨] – فإن الله كان غفروا قديرا [٢٩] – إن الله كان عليماً حكيماً [٣٠]" كل هذى الصفات لم تك لتظهر لولا الوجود الأول .

ثالثاً : الاقتصاد والإفهام :

ذكرنا قبلاً أن أهم ميزة فى اللغات الاقتصاد فى التعبير مع الإفهام ، وهذا ما رأيناه فى كثير من ظواهر العربية ، حيث تميز العربية بالسلب ، أى أى بالاقتطاع من اللفظ ، وليس بالزيادة ، كما نجد فى لغات أُخر ، مثل :

١- الإضافة :

تميز العربية المضاف المثنى وجمع المذكر السالم بحذف نونه ، تقول (كتابا بالنحو – مهندسو المشروع) وفى غيرهما بحذف التنوين (كتاب النحو – مهندسات المشروع) .

لم تضف أداة للربط بين المضاف والمضاف إليه ، كما فى الإنجليزية أو الفرنسية ، بل بسلب المضاف النون فى آخره ، وكان يمكن للعربية أن تقول (مالٌ لمحمد – صومٌ فى رمضان

---

(١)
(٢) ٢٣ النساء .
(٣) ١٤٩ النساء .
(٤) ١١ النساء .

– شجرتان من البرتقال) ولكنها عدلت عن هذا كله إلى (مالُ محمد – صومُ رمضان – شجرتا البرتقال) .

وقد أدرك النحاة هذه الحقيقة تماما عندما قسموا الإضافة إلى ثلاثة أقسام :

أ – إذا كان المضاف ملكا للمضاف إليه أو مختصا به قدرت الإضافة باللام ، نحو (كتابُ المعلم) والتقدير (كتابٌ للمعلم) .

ب– إذا كان المضاف إليه ظرفا للمضاف • زمانا أو مكانا – قدرت الإضافة بـ (فى) نحو (سهرُ الليالى – شهيدُ المعركة) تقديرهما (سهرٌ فى الليالى – شهيدٌ فى المعركة) .

جـ– إذا كان المضاف بعضا من المضاف إليه ، مع صحة الإخبار بالمضاف إليه عن المضاف، نحو (ثوب حرير – حديقة الرمّان) قدرت الإضافة بـ (من) أى (ثوب من الحرير – حديقة من الرمان) ويصبح الإخبار فنقول (الثوب حرير – الحديقة رمان) .

٢- التمييز والحال :

فى كليهما اختصار مع إفهام ، كيف ؟ فى الأول تقول : (فدان أرضا – إردب قمحا) بدل (فدان من الأرض – إردب من القمح) وفى الحال نقول (جاء الرجل مسرعا) بدل (جاء الرجل فى سرعة) وقد ميزت كلتيهما – الحال والتمييز – بالنصب .

٣- المفعول معه :

وهنا أيضاً نوع من الاختصار ، نقول (استيقظت والفجر) بدل (استيقظت مع الفجر) وميز المفعول هنا بالنصب ، والواو أيضاً .

ولكن النحاة ميزوا بين ثلاثة أحوال للاسم بعد الواو :

أ – وجوب النصب : إذا امتنع أن يشارك الاسم الواقع بعد الواو فى إحداث الفعل ، أعرب فى هذه الحالة مفعولا معه ، منصوبا ، والواو للمعية ، لأننا فى مثل (استيقظت والفجر – سرت والنيل) لا نجد (الفجر – النيل) يشاركان الفاعل فى الفعل ألبتة .

ب– جواز النصب : ولكن الاسم بعد الواو قد يصاحب الفاعل فى فعه أو لا يصاحب ، فإن قصدت المصاحبة كان النصب ، وكانت الواو للمعية وإلا كانت الواو للعطف ، فأعرب ما بعدها إعراب ما قبلها ، كيف ؟ تقول (جاء رئيس الجامعات والنائب) فإن قصدنا المصاحبة ، أى أن (النائب) جاء مصاحبا لرئيس الجامعة ، كانت الواو للمصاحبة .

فإن جاء النائب وحده ، غير مصاحب لرئيس الجامعة للمجيء ، ولكنه جاء في وقت آخر كانت الواو عاطفة ، ليست للمصاحبة ، ومن ثم يعطف ما قبل الواو على ما بعدها ، والمعطوف عليه (رئيس) مرفوع ، فالمعطوف هو الآخر (النائب) مرفوع أيضاً ، وهكذا .

جـ- امتناع النصب : على أنه مفعول به ، إذا وجب أن يشارك ما قبل الواو ما بعدها ، نحو (اشترك الطالب والأستاذ – تنازع الراكب والسائق) فإن الاشتراك والتنازع لا يكون إلا بين اثنين أو أكثر ، ولذا لا تكون الواو مطلقا للمعية ، بل هى للعطف فقط ، ومن ثم لا ينصب ما بعد الواو مفعولا معه ، وإنما يتبع ما قبله فى إعرابه ، رفعا أو نصبا أو جرا .

(انظر كيف تفرق العربية بين حالات الواو ، من وجوب المعية ، أو جوازها أو امتناعها ، ولا تسوى بين هذى الحالات كلها ، فالعربية لغة واعية حساسة مميزة ، إدراكها حاد، بصرها حديد ، تفرق بين مختلف الأحوال والسياقات والأشياء .

على أية حال فإذا كانت العربية تختصر مع الإفهام ، فإنها لا تمنع من استخدام الصيغة الأخرى غير المختصرة ، فنحن نقول (استيقظت والفجر) (مع إجازة (استيقظت مع الفجر) وكذا الشأن فى التمييز والحال ... إلخ .

٤- عدم تأنيث بعض الصفات : ميزت العربية المؤنث عن المذكر ، بالتاء أو الألف المقصورة أو الممدودة ، ولكن بعض الصفات أهملتها العربية ، وعطلتها عن أية علامة للتأنيث ؛ وذلك لسبب أو لآخر :

أ – الصفات الخاصة بالنساء : نحو (حائض – حامل – ثيب) فلا حاجة إلى علامة تفرق المؤنث عن المذكر ، كما فى الصفات المشتركة بين الرجل والمرأة ، ولذا فإن (حامل) لو اتصلت بتاء التأنيث تغير معناه من حمل المرأة ذا بطنها إلى (حاملة) لأى شيء آخر ، كما نقول (حاملة الراية – حامل العَلَم) .

ب- صفات بأوزان خاصة : مثل (قتيل – جريح – طموح) فالصفات هنا على (فعيل أو فعول) ربما لأن الحدث فيها (قتلا – جرحا – طموحا) أكبر وأهم من أن نفرق فيه بين مؤنث ومذكر ، فإذا قتل إنسان أو جرح فإن كونه رجلا أو امرأة أمر لا قيمة له إلى جانب مداحة الخطب وخطورته .

جـ- اختلاف الصيغة : وقد تعطى العربية للمؤنث صيغة وللمذكر أخرى ، ومن ثم فلا حاجة إلى علامة للتأنيث ، نحو (عجوز) للمرأة و (شيخ) للرجل ، فى الكتاب الكريم (أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا) .

وفضلا عما سبق تجدر الإشارة إلى عدة موضوعات فى النحو ، أهمها :

١- التنوين : يختص التنوين بالأسماء المعربة فقط ، ليس الأفعال ، أو الحرف ، ولكنه يغيب فى بعض الأسماء منها :

أ – العلم الموصوف بـ ابن : إذ غياب التنوين يعنى أن (ابن) صفة للعلم الذى يسبقه ، وهو تمييز بالسلب ، مما يوفر الاقتصاد بالمجهود والإفهام فى ذات الوقت .

كما يدل غياب التنوين على عمق العلاقة بين العلم وصفته (ابن) كالتى بين المضاف والمضاف إليه ، وربما يكون سبب غياب التنوين فى العلم الموصوف بـ (ابن) كثرة هذا الاستخدام .

ومن ناحية أخرى فإن العلم إذا نون قبل (ابن) دل التنوين على انفصام العلاقة بين الكلمتين ، ففى قوله تعالى " وقالت اليهود عزيزٌ ابن الله "[1] " نونت كلمة (عزيز) فأعرب العلم (عزيز) على أنه مبتدأ ، وما بعده ، أى (ابن) خبر المبتدأ ، ولا توجد علاقة بنوة أو أبوة بين الكلمتين ، وإنما كل هذا دعاء وكذب وافتراء من جانب اليهود .

ب- المضاف والمعروف بـ الـ : يغيب التنوين فى المضاف إشارة إلى شدة الارتباط بين المضاف وبين المضاف إليه ، بدليل أن التنوين يأتى فى الشبيه بالمضاف ، كما فى مثل : (يا طالعا جبلا – يا راكبا سيارة) .

أما المعرف بالـ فإن التنوين يشير إلى التنكير بشكل عام ، وهو لا يتناسب مع أداة التعريف هذه أو غيرها .

وانظر إلى عبقرية اللغة العربية ؟ لقد أعربت الممنوع من الصرف جرا بالفتحة ، وليس الكسرة ، أما إذا كان هذا الممنوع من الصرف معرفا بالـ أو مضافا كان الجر بالكسرة ، وليس الفتحة ، لماذا ؟ لأنه فى هاتين الحالتين لا فرق بين الممنوع من التنوين وبين غيره ، فلا تنوين فى كلٍ ، وهذا نوع من الواقعية فى لغتنا ، حيث يسود الإعراب بالكسرة ، وهو الأصل بدل الفتحة ؛ لأنه لا فرق فى غياب التنوين بين الممنوع من الصرف وغيره عند التعريف بالـ وبين المضاف ، فكلاهما بلا تنوين .

٢- الإشارة ، ملاحظة طريفة : من الملاحظات الطريفة هنا أن اسم الإشارة للمفرد المذكر واحد فقط ، هو (ذا) الذى يصبح (هذا – ذاك – ذلك) ولكنه على أية واحد ، لا غير ،

---

(١) ٣٠ التوبة .

فى حين نجد لاسم الإشارة المؤنث – أو قل للمؤنثة – عشرة أسماء بالتمـــام والكمـــال ، (خمسة منها مبدوءة بالذال ، وخمسة مبدوءة بالتاء ، وهى : (ذى – تى – ذه وته بإشـــباع الكرة وجعلها طويلة – ذى وته باختلاس الحركة مخطوفة سريعة – ذه وته بإسكان الهاء – ذاتُ [٣٢] – تا) .

وقد تكون اللهجات سبب هذا الاختلاف ، خاصة فى (ذه – ته) اللتين تأتيان بإســكان الهاء ، أو إشباع الحركة وتطويلها ، أو باختلاسها وسرعتها .

وقد قدمنا تفسيرا لهذا البون الشاسع فى العدد ، بين اسم إشارة واحد للمذكر ، وعشـــرة للمؤنث بأن هذا ربما يكون تعبيرا عن الأسرة العربية التى كانت تعتمد على رجل واحد ، هـــو رب الأسرة ، الذى يحتاج إلى اسم واحد للإشارة إليه ، فى حين تجد هذه الأسرة فيها عدد لـــيس بالقليل من النساء ، الزوجة أو الزوجات ، والأم والأخت ... إلخ ، وكل واحدة بحاجة إلى اســـم يشار به إليها ، وبشكل لا تفطن إليها الأخرى ، خاصة فى ظل الصراع المنطقى بين الزوجات، وبين الحماة وزوجة ابنها ، وزوج ابنتها ... إلخ .

ولا يمكن أن يفسر هذا بأنه انحياز إلى المؤنث على حساب الرجل ، فإن هذا لا يـــدور إلا بخلد الجهلاء الأغبياء ، من الرجال أو النساء .

٣- العدد : إذا نظرنا إلى العدد فى اللغة العربية ، وكيف يكتب بالحروف – وليس الأرقـــام – وجد الباده منا أن معقد أكثر من اللازم ، والمطلوب ، فالعدد واحد واثنان له نظام ، ثم مـــن ثلاثة إلى عشرة نظام آخر ، أحد عشر واثنا عشر نظام ثالث ، من ثلاثة عشر إلى تســعة عشر شىء رابع ، ثم ألفاظ العقود من عشرين إلى تسعين ، وما يعطف عليه ، ثـــم مائـــة وألف ... إلخ ، تذكير كلٍ أو تأنيثه ، وتمييزه هل هو مفرد أو جمع ؟ كل هذا يشـــير إلـــى تعقيد شديد فى قضية العدد لأول وهلة .

ولكن الرأى أن وراء هذا كله العناية الشديدة بالعدد ، لأنه به تتعلق الحقوق ، والاختلاف فيها وارد ، ولذا فإن التركيز عليه ، أو على ما يسمى الأرقام ضرورة فى تعامل النـــاس مـــع بعضهم ، خاصة فى المساومات والمفاوضات ، ولذا تجد الناس فى الكتابة لا يكتفـــون بكتابـــة الأرقام فقط ، بل يحرصون على كتابة العدد ، مع تفقيطه بعناية ، وأن يتبع هذا بجملة (لا غير)

---

(١) صفوت ، أحمد ذكى : الكامل فى قواعد العربية ، نحوها وصـــرفها ، انظـــر ١ / ٥٨ ، ط ٤٠ ، القـــاهرة ١٩٦٣م .

المشهورة ، مع إيضاح نوع العملة المستخدمة فى التعامل مع الأموال كأن نكتب (١٠,٠٠٠ م) ثم نتبع هذا بكتابة (عشرة آلاف جنيه مصرى ، لا غير) .

جاء فى كتاب المساومة عبر الحدود [٣٣] : " يجب توخى الحرص عند ذكر الأعداد بوجه خاص ، والتأكد من أن المترجم بلَّغ الطرف الآخر بالعدد الذى ذكرتَه أنت بالضبط ، والعكس صحيح ... وهناك العديد العديد من القصص المرعبة التى نتجت عن أخطاء فى هذا المجال ، بحيث يصبح من الضرورى أن نؤكد على الأعداد " .

٤- الجموع : أول ملاحظة على الجموع فى العربية هو كثرتها الكاثرة مقارنة بغيرها من اللغات ، ففى العربية :

أ – جموع التكسير ، قلة وكثر ، بأوزانه التى تبلغ سبعة وعشرين ، أربعة للقلة ، والباقى للكثرة، هذا فى الجزء القياسى من التكسير ، إذ هناك " جموع مسموعة متعددة ، تخالف هذه الجموع القياسية المطردة [٣٤] " .

ب- جمع المذكر السالم والملحق به [٣٥] .

جـ- جمع المؤنث السالم وما يلحق به .

د – اسم الجمع مثل (قوم – جماعة – ركب – صحب) .

هـ- اسم الجنس : مثل (شَجَر – عرب) مفرد (شجرة – عزلى) ويسمى باسم الجنس الجمعى ، فى مقابل اسم الجنس الإفرادى ، مثل (ماء – زيت) والفرق بين الجمعى والإفرادى أن هذا الأخير لا مفرد من لفظه ، أما الأول فله من لفظة مفرد ، كما فى (تمرة ⟵ تمر – فارسى ⟵ فُرْس) .

و – جمع الجمع : أى أن الجمع نفسه يمكن أن يجمع مرة بعد مرة ، مثل (جمل ⟵ جمال ⟵ جمالات – بيت ⟵ بيوت ⟵ بيوتات – كلب ⟵ كلاب ⟵ كلابات) .

ز – المثنى وما يلحق به : فإن المثنى هو نوع من الجموع ، وهو مما تختص به العربية ، لا نجده فى غيرها .

---

(١) تأليف دين آلسن فوستر ، ترجمة د. نيفين غراب ، ص ١٠٦ ، القاهرة ١٩٩٧م .

(٢) عبد العال ، د. عبد المنعم سيد : الشامل لجموع التصحيح والتكسير فى اللغة العربية ، ١ / ٣٢ ، القاهرة ١٩٨١م .

(٣) أى ما لم تتحقق فيه شروط جمع المذكر ، كما فى (سنون – عشرون – أهلون) رفعا ، وفى النصب والجر (سنين – عشرين – أهلين) .

وسبب هذه الكثرة الكاثرة من الجموع فى لغتنا أن العربية تضع الكلمة فى موضعها الصحيح ، الذى يناسبها ، ويليق بها .

بل نجد المفرد الواحد يجمع بطرائق مختلفة ، مصححة أو مسرة ، كما فى (كافر كفار ، كفرة ، كافرون – ساجد ⟵ ساجدون ، سجود ، سُجَّد) كل جمع من هذه الجموع يناسب السياق الذى وضع فيه .

ففى قول الله تعالى : " قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون [٣٦] " فقد فرضت الفاصلة (ون) أن يكون الجمع المناسب " قل يا أيها الكافرون " وليس (الكفار) أو (الكفرة) .

وهذى الجموع المكسرة قد تناسب فى مواضع أُخر ، مثل : " أشداء على الكفار رحماء بينهم [٣٧] – أولئك هم الكفرة الفجرة [٣٨] " .

وهكذا نجد السياق فى بعض الأحيان يحتاج المصحح من الجموع ، وأحياناً يناسبه المكسر بأوزانه المختلفة ، أو اسم الجنس ، الإفرادى أو الجمعى ، أو اسم الجمع ... إلخ فلكل مقام مقال ، ولكل حادث حديث ، ولكل سياقٍ الجمعُ الذى يناسبه ، وهكذا .

يبقى أن نتساءل عن جمع المؤنث السالم وما يلحق به ، لماذا ينصب بالكسرة ، والأصل أن ينصب بالفتحة ؟ إن هذا النصب بالكسرة يشير إلى أن الألف والتاء زائدتان ، غير أصليتين ، فإن كانت إحداهما أصلية ، مثل (أموات – قضاة) كان النصب بالفتحة ، فالأولى مفردها (ميّت) فالتاء أصلية بدليل وجودها فى المفرد ، كما نرى ، وفى الأخرى الألف فى (قضاة) أصلية ؛ لأن هذه الألف منقلبة عن لام الكلمة الياء ، فى (قضى – يقضى – القاضى) .

٥- البناء والإعراب : اختارت العربية البناء للحروف كلها ، ثم الأفعال فى الماضى والأمر ، ولم تعرب منها غير المضارع شرط عدم اتصاله بنون النسوة أو نونى التوكيد ، ثقيلة أو خفيفة ، ولكنها اختار الإعراب للأسماء جلها ، ولم تبن منها إلا قليلا ، وهنا عدة ملاحظات:

أ – لماذا بنى المضارع المتصل بنون النسوة ، ونونى التوكيد ؟ السبب أن نون النسوة يسكن ما قبلها حتما ولزوما عندما تسند إلى أى فعل ، سواء أكان فى الماضى أو الأمر أو المضارع ، فلا

---

(١) ١ الكافرون .

(٢) ٢٩ الفتح .

(٣) ٤٢ عبس .

مجال هنا للحركة الإعرابية فى هذا الأخير ، شأن نون النسوة هنا شأن الضمائر المتحركة كلها (تاء الفاعل – نا الدالة على الفاعلين) لاحظ :

كتبَ ⟵ كتبْتَ ، كتبْتَ ، كتبْتِ ، كتبْنا .

يكتبُ ⟵ يكتبْنَ .

أما نونا التوكيد فإن ما قبلهما لابد أن يفتح ، ومن ثم فلا مجال للإعراب فى المضارع ، انظر :

يسأل ⟵ يسألَنّ ، يسألَنْ

تماما كما يحدث فى الأمر : اسألْ ، اسألَنَّ ، اسألَنْ .

ب- إن العربية لم تجعل الكلمات كلها معربة ، أو كلها مبنية ، بل مزجت بينهما فجمعت بين الثبات والتغير ، وبين النمطية والمرونة ، لم تجعل الكلمات كلها مبنية فيقف الذهن عن التفكير فيما يقول ، ولم تجعل كل الكلمات معربة فينصرف الذهن تماماً للتفكير بشكل كلى فى الألفاظ التى تستخدم ، وهكذا العربية ، ليست آلية نمطية على طول الخط ، بل هى نصف آلية ، ونصفها الآخر يتغير ويتبدل لإعطاء فرصة للذهن ، كى يتدبر ويتفكر ويرتب ما يقول ، أو ما يكتب .

جـ- وقد اختارت العربية المضارع كى يعرب دون نظيريه الماضى والأمر لأن الأخيرين أقل كمية من الأول ، وكذا الأسماء أعربتها دون الحروف ، أن هذى الأخيرة أقل كمية من الأسماء فى الغالب ، ولذا كان النحاة على حق تماما حين عللوا بناء بعض الأسماء ، سيما الضمائر بشبهها بالحرف فى نقص كميتها عن باقى الأسماء المعربة .

جاء فى شرح الأشمونى [39] " مشابهة الحرف فى الوضع ، لا أكثرها على حرف ، أو حرفين ، وحمل الباقى على الأكثر .

د – ومن ناحية أخرى لجأت العربية إلى بناء بعض الأسماء لأسباب دلالية ، أو كنوع من الاختصار :

- صبحَ مساءَ ، أى فى الصباح والمساء كليهما .
- حيصَ بيصَ [40] ، أى الشدة والحيرة والتردد .

---

(١) تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد ١ / ١٢٥ ، القاهرة ١٩٩٣م .

(٢) الحيص التقدم ، والبيص التأخر .

- بينَ بينَ ، أى بين كذا وبين كذا ، نحو (همزة بين بين) بين الهمزة وبين الحركة .
- بيتَ بيتَ ، أصله بيتا لبيت ، أى ملاصقا تماما لبيتى .
- خَباثِ ولَكاعِ [1] : مع النداء خاصة ، وهو ما يكون شتما للأنثى وسبا ، على هذا الوزن ، نحو (يا فساقِ – يا سراقِ) أى فاسقة وسارقة .
- أمس : تبنى على الكسرة إذا قصدت اليوم الذى قبل يومنا ، لكن إذا أريد بأمس يومٌ ما من الأيام أو دخلت عليها الألف واللام أعربت كغيرها من الأسماء ، كما نقول (رحل الأمسُ – فعلت هذا أمسا) فالإعراب يعنى يوما ما من الأيام الماضية ، وليس اليوم السابق على يومنا، والبناء على الكسر يدل على التعريف ، وأننا نقصد اليوم الذى قبل يومنا .

هـ– وانظر إلى اللغة العربية لماذا لجأت إلى تقدير الإعراب عند ما لا يظهر للسامع ، كما فى (يرجو موسى عيسى) ؟ إنها تفعل هذا كى يتابع المتكلم والسامع أيضاً – وظائف الكلمات فى جملها ، توصلا إلى فهم أعمق للجملة عن طريق فهم وظيفة العدد الأكبر من كلماتها .

وكذا الشأن فى الأسماء المبنية – وكذا الجمل التى لها محل من الإعراب – إن هذا ما يجعل المتكلم يأخذ فى الاعتبار وظيفة هذى الأسماء المبنية داخل جملها .

فإذا قرأنا " وجاءوا أباهم عشاء يبكون [2] " فإننا ندرك أن واو الجماعة – والتى تعود على إخوة يوسف – فى محل رفع لأنها فاعل ، أما الهاء فى (هم) فى محل جر ، لأنها مضافة ، والمقصود بالضمير هنا هو والد يوسف – عليهما السلام – أما جملة (يبكون) الفعلية فهى فى محل نصف حال ، فكأنه قصد (باكين) أى : حال كونهم باكين ، فاعتبار محل الإعراب للأسماء والجمل يقصد به عدم إسقاط هذى الأشياء من عناصر الجملة أو مكوناتها ، والبعد عن إهمال دورها أو استنقاصه ، أو الشك فى أهميته .

و – لهذا كله فإن قضية البناء والإعراب بحاجة ماسة إلى عديد من الدراسات التى تجلى مختلف جوانبها ، وتسبر غورها وصولا إلى فهم أعمق للغتنا ، تؤدى بنا لآلئها وأصدافها وجواهرها الكريمة النفيسة .

---

(١) لكاع أى لئيمة .

(٢) ١٦ يوسف .

ملاحظات على النحاة

انتهينا من بعض ملاحظاتنا على النحو العربى ، وقبله الصـــرف والأصـــوات ، والآن ندلف إلى بعض الملاحظات حول النحاة أنفسهم ، أى على الصياغة نفسها ، وهى تخص النحاة، وليس النحو ، إنها تخص اللغويين ، ولا اللغة ، وهاك بعض ما جمعنا من هاتيك الملاحظات:

أولاً : إننا نجد النحاة أحياناً يعوزهم الشاهد ، بل تعوزهم أحيانا الأمثلة المقنعـــة ، ولـــذا فـــإن الأفضل ، بل الواجب أن لا نلتفت إلى القاعدة النحوية إن لم نجد أمثلة واقعية مقنعة ، فإن وجدنا شيئا من هذا فى القرآن الكريم اتكأنا عليه دون تردد ، إذ هو الأساس عنـــدنا ، أو حتـــى فـــى الأحاديث النبوية ، أو كلام العرب .
مثال ذلك عندما يقول النحاة : إن الفعل (زوَّج) يتعدى بنفسه ، أو بحرف الجـــر ، جـــاء فـــى الكتاب الكريم : " فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها [٤٣] " أى : زوجناك بها ، وفيه أيضـــا : " كذلك وزوجناهم [٤٤] بحور عين " كل هذا واضح جلى ، لا شية فيه ، ولا شك .

أما عندما يقول النحاة : إن اسم الفاعل لا يعمل عمل فعله إذا كان مجردا مـــن الألـــف واللام إلا عندما يعتمد على نفى أو استفهام ... إلخ ، مثال النفى :

ما راع الخلانُ ذمةَ ناكث   بل من وفَى يجد الخيل خليلا [٤٥]

والمعنى (ما يرعى الخلان ذمة ناكث) فالشاهد فى البيت إعمال اسم الفاعـــل (راعِ) عمـــل (رعى) بسبب الاستفهام ، الشاهد هنا غير مقنع ؛ فهذا البيت لا يعلم قائله ،م وليس فى الجعبة غيره ، لا شواهد ، ولا – حتى – أمثلة ، هذا مثال واحد على ما نقول ، وفى بطون كتب النحو وأسفاره ما لا يحصى من الأمثلة على هذه الملاحظة .

بل إنك فى بعض الأحيان تجد الأمثلة مخالفة للموضوع الذى يتحدث عنه ، هذا نمـــوذج من شرح الأشمونى [٤٦] :

---

(١) ٣٧ الأحزاب .
(٢) ٥٤ الدخان .
(٣) ابن هشام : شرح شذور الذهب ، ص ٣١٠ .
(٤) ٣ / ٥١٤ .

تأتى [أن] مفسرة وزائدة ، فلا تنصب المضارع ، فالمفسرة هى المسبوقة بجملة فيها معنى القول ، دون حروفه ، نحو " فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا [٤٧] – وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا [٤٨] على آلهتكم " .

والزائدة هى التالية لما ، نحو : " فلما أن جاء البشير [٤٩] " ... أو بين القسم وبين لو ، كقوله :

فأقسم أن لو التقينا وأنتمُ لكان لهم يوم من الشر مظلم

والآن ، انظر – عزيزى القارئ – ما نوع الأفعال التى أتت بعد [أن] مفسرة أو زائدة فيما سبق ؟ تأمل جيدا :

- أن اصنع .
- أن امشوا واصبروا .
- أن جاء .
- أن لو التقينا .

إنها كلها أفعال فى الأمر أو الماضى ، وليس المضارع البتة ، وبصرف النظر عن إمكانية نصب أن المفسرة أو الزائدة للمضارع ، وهو ما ثبت فى مثل : " وحسبوا أن لا تكون فتنة [٥٠] – وما لنا ألاّ نقاتل فى سبيل الله [٥١] " نقول :

بصرف النظر عن هذا ، وعن الجدل بين النحاة [٥٢] فى نصب المضارع أو عدم نصبه ، فإن المفترض أن تكون الأمثلة ، سواء فى النصب أو عدمه نصبه ، فإن المفترض أن تكون الأمثلة ، سواء فى النصب أو عدمه من المضارع فقط فقط ، إذ هو فقط الذى يعرب ، فينصب ، أو لا ، ولا محل لغيره من الماضى أو الأمر ، ولا دخل لهما فى الإعراب ، نصبا أو غيره .

وهذا نموذج آخر من شذور الذهب [٥٣] يتحدث فيه عن فعلى الشرط ، الجواب والجزاء : " ويسمى أولهما شرطا ، ولا يكون ماضى المعنى ، ولا إنشاء ، ولا جامدا ، ولا مقرونا بتنفيس

---

(١) ٢٧ المؤمنون .

(٢) ٦ ص .

(٣) ٩٦ يوسف .

(٤) ٧١ المائدة .

(٥) ٢٤٦ البقرة .

(٦) المرجع السابق ٣ / ٥١٤ .

(٧) ص ٢٧١ .

ولا قَدْ ، ولا نافٍ – غير لا ولم – وثانيهما جوابا وجزاء ، وقد يكون واحدا من هــذه فيقتــرن بالفاء ، نحو : " إن كان قميصهُ قُدّ [٥٤] من قبل فصدقت – فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخســا [٥٥] " وهنا نتساءل :

أ – الكلام هنا حول جزم المضارع بواسطة أدوات الشرط ، فما دخل الماضى والأمر فى هــذه الأمثلة ، أو غيرها نحو " ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا [٥٦] " أو (إن عز أخوك فهُن [٥٧])

ب– الشروط التى قدمت لفعل الشرط ، ثم انتقل الحديث إلى الجواب ، مما قد يثير نوعــا مــن البلبلة وسوء الفهم لدى القارئ أو المتعلم ، سيما المبتدئ .

وفى حذف أداة الشرط ، وشرطه أن يتقدم عليهما طلب بلفظ الشرط ومعنــاه أو بمعنــاه فقط ، فالأول نحو (ائتنى أكرمك) تقديره (ائتنى ، فإن تأتنى أكرمك) فأكرمك مجــزوم فــى جواب شرط محذوف دل عليه فعل الطلب المذكور ، هذا هو المذهب الصحيح ، والثانى نحــو قوله تعالى : " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم [٥٨] " أى : تعالوا ، فإن تأتوا أتل ... انتهى ما قاله ابن هشام [٥٩] .

والصح أن يقال : إنه جواب الطلب المتقدم ، فيكون مجزوما بنفس الطلب ، وهذا هــو المشهور فى إعرابه [٦٠] .

ثانياً : بعض مقولات النحاة بحاجة إلى إعادة نظر ، على سبيل المثال :

١– وضع (كى) فى حروف الجر : فماذا تجر هذه الــ (كى) ؟ جاء فى أوضح المســالك [٦١]: " وإنما تجر ثلاثة ... أن المصدرية وصلتها ، نحو (جئتك كى تكرمنى) إذا قــدرت (أن) بعدها ، بدليل ظهورها فى الضرورة ، كقوله :

فقالت : أكل الناس أصبحت مانحا * لسانَك كيما أن تَغُرَّ وتَخْدعا

---

(١) ٢٦ يوسف .
(٢) ١٣ الجن .
(٣) ٣٨ النساء .
(٤) شذور الذهب ، ص ٢٧٢ .
(٥) ١٥١ الأنعام .
(٦) شذور الذهب ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .
(٧) السابق .
(٨) ٩١٣ ، ١١ .

فكيف نضع (كى) فى حروف الجر ، هذى الحروف التى لا تدخل إلا على الأسماء ؛ إذ هى من علاماتها ؟ لقد حل النحاة هذه الإشكالية بتقدير (أن) بعد (كى) واستدلوا بشاهد أعرج ، لأنهم يقولون نصا " بدليل ظهور [أن] فى الضرورة " .

والحق أنه كان يكفى النحاة أن يَنُصّوا على أن فى مثل (... كى تكرمنى) قد دخلت المضارع فنصبته ، ولا صلة لها ولا حاجة لأن تحشر مع حروف الجر ، ثم نبحث لهذا عن مخرج بتقدير (أن) أو غيرها ، وهذا الأقرب إلى المنطق وطبيعة الأشياء .

٢- وكذا الشأن فى اللام وحتى قبل المضارع ، مثال الأولى : " وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال [٦٢] " فقد ذكر أن : " اللام التى ينصب الفعل بعدها هى لام الجر والنصب بأن مضمرة هو مذهب البصريين " والحق مع الكوفيين الذين ذهبوا إلى أن اللام ناصبة بنفسها بطريق الأصالة ، وقيل إن اللام ناصبة بنفسها لقيامها مقام أن [٦٣] " .

٣- وفى قوله تعالى : " لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع [٦٤] سالينا موسى – فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء [٦٥] إلى امر الله " يرى النحاة أن (حتى) تجر : " المصدر المنسبك من أن والفعل ،م وذهب الكوفيون إلى أن حتى ناصبة بنفسها [٦٦] " فالرأى ما قال الكوفيون من جعل هذى الثلاثة (كى – اللام – حتى) ناصبة بنفسها ، دون تقدير أن بعدها ، ومن ثم إقحامها فى حروف الجر .

ثالثاً : هناك عديد من القضايا هى فى أصلها وصميمها قضايا صوتية بحتة محضة ، يجب أن تخرج من تدريس النحو إلى دروس الأصوات ، خاصة فى المراحل الأولى من تعليم النحو ، مثل الجر على المجاورة والذى يستشهد له بشاهد مشهور (هذا حجر ضب خربٍ [٦٧]) بجر كلمة (خربٍ) لأنها جاورت كلمة (ضب) المجرورة .

وهذه قضية صوتية محضة ، فقد كسر آخر الكلمة (خرب) ليناسب الكسرة فى الكلمة، كما يحدث فى حركة الاتباع فقد قرئ قوله تعالى : " وإذا قلنا للملائكةُ اسجدوا " بضم التاء فى

---

(١) ٤٦ إبراهيم .

(٢) صفوت : الكامل فى قواعد العربية ١ / ٣١٨ .

(٣) ٩١ طه .

(٤) ٩ الحجرات .

(٥) السابق ١ / ٣٢٠ .

(٧) شرح شذور الذهب ، ص ٢٦٢ .

(للملائكةُ) يفسر ابن جنى ضمة الاتباع بدل كسرة الإعراب بأن حركة الاتباع هجمت على حركة الإعراب فابتزتها موضعها [٦٨] .

ومن أبرز المسائل الجديرة بالمعالجة الصوتية ، ل أن توضع فى مسائل الصرف – أو النحو – الإبدال والإعلال ، ففى مثل :

اصتبر ⟵ اصطبر

اوتصل ⟵ اتَّصل

إقوام ⟵ إقامة

استقوام ⟵ استقامة

كل هذى من القضايا الصوتية التى تحتاج إلى معالجة صوتية ، أو على الأقل معالجة صوتية صرفية ، وهكذا .

---

(١) الخصائص ٣ / ١٤١ .

أول ما يلاحظ على العربية هنا أنها لغة اشتقاقية ، وهذا ما يعطيها ميزة البساطة والثراء فى ذات الوقت ، فالأصل الواحد من الصوامت يشى بالمعنى فى سائر المشتقات والتصريفات ، فالجذر (ع ل م) يأتى منه سائر الأفعال (علم يعلم اعلم) ثم باقى الأسماء (عالم – علماء – علامة – تعليم – معلم – معلمة) ... إلخ كل هذا يدور فى فلك جذر واحد ، وهو ما يساعد الذاكرة على استيعاب كل هذى الألفاظ بسهولة ، وفى ذات الوقت فإن الاشتقاق يوسع من دائرة الألفاظ ، ويثرى اللغة أيضاً .

ومن ناحية أخرى نجد بعض الملاحظات حول الدلالة فى العربية :

١- الجُلُّ : بضم الجيم وفتحها ، وتشديد اللام ، جاء فى لسان العرب [٦٩] : " وجلّ الدابة الذى تلبسه لتصان به ، والجمع جِلال وأجلال ، وفى الحديث أنه جَلَّل فرساله – سبق – بُرْدا عَدَنيا ، أى جعل البرد جلالّه ، وفى حديث على : اللهم جلّل قتله عثمان خزيا ، أى غطهم به ، وألبسهم إياه ، كما يتجلل الرجل بالثوب " .

وهكذا تخصص العربية (الجلّ) للدابة ، والثوب للإنسان ، ولو كانت لغة نمطية لاستخدمت الثوب للعاقل وغير العاقل ، وأضافت الثوب للدابة أو للإنسان ، ولكنها خصصت لكل منهما كلمة مستقلة ومختلفة عن الأخرى .

٢- وكذا فرقت العربية بين الأم الإنسانية ، فجمعتها على (أمهات) فى حين جاء الجمع لغير العاقل (أمّات) بدون هاء .

٣- اسم الإشارة للمفرد المذكر هو (ذا) أما المفرد المؤنث فله عشرة أسماء ، خمسة مبدوءة بالذال وخمسة بالتاء ، هى : (ذى – تى – ذه – ته ، بإشباع كسرة الهاء فى الأخيرين – ذه – ته ، باختلاس الكسرة وسرعتها – ذهَ – ته ، بسكون الهاء – ذات – تا [٧٠]) .

وليس هذا من العربية تمييزا ضد الرجل ، أو لصالح المرأة ، ولكن ربما راعت العربية طبيعة الأسرة العربية التى يترأسها رجل واحد ، هو الأب أو الزوج أو الشقيق الأكبر ، وتشتمل على عديد من الجنس الآخر ، الأم ، الزوجة أو الزوجات ، الإماء ، العمات والخالات ، الحماة أو الحموات ... إلخ .

---

(١) مادة (ج ل ل)

(٢) صفوت ، أحمد ذكى : الكامل فى قواعد العربية ، ١ / ٥٨ .

٤- فى برنامج أسبوعيات طاهر أبو زيد تساءل صاحب البرنامج بعد كسوف الأربعاء ١١ / ٨ / ١٩٩٩ فى مصر : " لماذا تطلق العربية الكسوف على الشمس الخسوف للقمر ؟! " وقد أثار هذا التساؤل قضية مهمة ، هى أن العربية تعبر عن الظاهرة الواحدة بحروف (صوامت) بعينها ، فإن كان ثم خلاف غيرت حرفا واحدا فقط ، وهذى أمثلة :

أ – الكشوف والخسوف : كلاهما حجب للضوء جزئيا أو كليا ، ولكن العربية خصصت (الكسوف) للشمس و (الخسوف) للقمر .

ب- الأعمى والأعمش : كلاهما علة فى البصر ، لكن (العمش[٧١]) ضعف البصر ، مع سيلان الدمع فى أغلب الأوقات ، و (العمى [٧٢]) ذهاب البصر كله ، من العينين كليهما .

جـ- القبضة والقبصة : القبضة ملء الكف ، والقبصة بأطراف الأصابع ، قرأ الحسن البصرى : " فقبصت قُبصة [٧٣] " وهى القبص بأطراف الأصابع ، وقرأ الجمهور بالضاد فى كليهما " فقبضت قَبضة من أثر الرسول " فالقبض والقبص كلاهما الإمساك بالشىء ، ولكن (القبض) بالضاد تعنى الإمساك بالكف كله ، أو بملئه ، أما بالصاد فهو إمساك أيضا ، ولكن بأطراف الأصابع [٧٤] .

د – القضم والخضم : الخضم أكل الرطب اللين كالبطيخ والقثاء ونحوهما ، والقضم للصلب اليابس ، نحو قضمت الدابة شعيرها ، فالقضم والخضم كلتاهما بمعنى الأكل أو المضغ بواسطة الأطراس ، ولكن الأولى للصلب اليابس من الطعام ، أما الثانية فتختص باللين السهل من [٧٥] الأكل .

د – الهمز واللمز : فى الكتاب الكريم : " ويل لكل همزة لمزة [٧٦] " قال ابن عباس : " همزة لمزة طَعّان مِعْياب [٧٧] " فالتاء فى (همزة لمزة) ليست للتأنيث وإنما للمبالغة ، فى الفرق بين الهمز واللمز ؟ كلاهما طعن وعيب ، ازدراء الناس ، والانتقاص بهم ، والطعن عليهم ، ولكن

---

(١) المعجم الوسيط ، مادة (ع م ش) .
(٢) السابق ، مادة (ع م ى) .
(٣) ٩٦ طه .
(٤) تفسير ابن كثير ، انظر ٣ / ١٦٣ .
(٥) حيدر ، الدكتور فريد : علم الدلالة ، ص ١١ .
(٦) سورة الهمزة .
(٧) تفسير ابن كثير ٤ / ٥٤٨ .

الهمز عيب فى الوجه والحضرة باليد أو العين ، واللمز فى غياب المرء ، أو من وراء ظهره [٧٨]
.

جـ- الرؤية والرؤيا : كلاهما ما يراه الإنسان ، ولكن الأولى تخصصت فيما يراه الإنسان في اليقظة ، وانحصرت الأخرى فيما يراه النائم ، قال تعالى على لسان ملكة سبأ : " يا أيها الملأ : أفتونى فى رؤياى ، إن كنتم للرؤيا تعبرون [٧٩] " .

ليس هذا فقط ، ولكن أيضاً :

أ – تاء الضمير : تدل على المفرد ، إن كان متكلما كانت التاء مضمومة (فهمتُ – عرفتُ) وإن كانت التاء للمخاطب المذكر فتحت (فهمتَ – عرفتَ) وإن كانت للمخاطبة المؤنثة كسرت (فهمتِ – عرفتِ) . ويلاحظ أن العربية فرقت بين المخاطب والمخاطبة ، فى حين لم تفرق بين المتكلم وبين المتكلمة ؟ لأن المتكلم يظهر إن كان مذكرا أو مؤنثا من خلال كلامه ، لأن اللغة أساسها النطق ، والكتابة فرع عنه ، أو صورة منه ، أما المخاطب فالحاجة تدعو لبيان المذكر من المؤنث .

وهكذا الحال فى الضمير المنفصل (أنتَ) هو بالفتح للمذكر ، بالكسر للمؤنث ، أى المخاطب والمخاطبة ، فى حين عبرت العربية بضمير واحد للمتكلم ، مذكرا أو مؤنثا ، وهو (أنا) للمفرد بنوعية ، كما عبرت – فيما سبق – بالتاء المضمومة عن المتكلم والمتكلمة على السواء .

ب- اسم الموصول الذى والتى : كلاهما للمفرد ، ولكن الذال فى الأول للمذكر ، والتاء فى الثانى جعلته للمؤنث ، وكذا الحال فى (ما – مَنْ) الأولى لغير العاقل والثانية للعاقل ، والفارق بينهما – فى الكتابة – ألف مد فى الأول (ما) ونون فى (منْ) بل إن العربية أخذت هذا الاسم الأخير وجعلت حرف الجر (مِنْ) كسرت الميم بدل فتحها فى الاسم (مَنْ) وهو ما يعين الذاكرة على حفظ هذى الكلمات .

---

(٨) الزمخشرى : الكشاف ٤ / ٢٣٢ .

(١) ٣٢ النحل .

موضوعات للدراسة والمناقشة

تبدو اللغة العربية الآن مع مسيرتى معها دراسة وتدريسا ، فوق الثلاثين سنة ، تبدو بعد ذلك كله وكأنها حقل بكر ، بحاجة إلى المزيد المزيد من الدراسات والبحوث ، فى كل موضوعاتها ، بل فى كل ركن من أركانها ، فى كل زاوية من زواياها ، شريطة أن لا نكرر ما قيل ، وبنفس المنهج الذى استخدمه القدماء والسالفون ، وإلا سنظل نراوح فى مكاننا ونسير فى مواقع أقدامنا ، أى (محلك سر) .

وهذى بعض الموضوعات التى تحتاج إلى دراسة أو دراسات تجلى دقائقها ، وتفك ألغازها وأحاجيها ، وربما طلاسمها :

١- إعمال الفعل والاسم ، دراسة دلالية : كثيراً ما يدرس النحاة عمل الفعل ، والاسم الذى يعمل عمل الفعل (المصدر – اسم الفاعل – صيغ المبالغة – اسم المفعول – الصفة المشبهة – اسم الفعل [٨٠]) .

إن النحاة يرون أن " ولولا دَفْع الله الناس [٨١] – إن الله بالغ أمره [٨٢] " إن الله سميع دعاء من دعاه – على محمود فعله مسموع قوله – " عليكم أنفسكم " [٨٣] هذه الجمل تساوى : ولولا دفَع اللهُ الناسَ – إن الله يبلغ أمره – إن الله يسمع دعاء من دعاه – على يُحمد فعله يُسمع قوله – الزموا أنفسكم.

إذا كان الأمر كذلك من الناحية النحوية فالرأى أن الدلالة لابد أن تختلف ، ولذا فنحن بحاجة إلى دراسة دلالية للأسماء التى تعمل عمل الفعل ، والفرق بين الاستخدامين ، أى استخدام الفعل والاسم ، ولماذا عدل من الفعل إلى الاسم ، خاصة فى القرآن الكريم ، أو قل مطبقا على الكتاب الكريم ، أو الحديث النبوى الشريف أو دواوين الشعراء ، أو بعض مصادر الأدب ، أو اللغة ، أو المعاجم ، وذلك لتجلية السر فى استخدام الاسم دون الفعل من الناحية الدلالية والبلاغية .

٢- أثر حرف الجر فى المعنى : اهتم قدماء النحاة بمعانى الحروف ، بما فيها حروف الحروف الخافضة الجارة ، بل خصصوا لها بعض المؤلفات والمصنفات ، مثل :

---

(١) أبو الخير ، النحو العربى ، ص ٨٧ .

(٢) ٤٠ الحج .

(٣) ٣ الطلاق .

(٤) ١٠٥ المائدة .

أ – معانى الحروف لعبد الجليل بن فيروز الغزنوى .
ب– وصف الحروف لابن قيم الجوزية ، محمد بن أبى بكر الحنبلى .
جـــ– الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن قاسم المرادى .

ولكنى أرى معلمى النحو هذه الأيام لا يهتمون بمعانى الحروف الجارة ، بل يركـــزون على الأثر الإعرابى فقط ، وهو جانب واحد من جوانب الموضوع ، إضافة إلى أننا بحاجة إلى مراجعة ما قال القدماء فى تواليفهم وكتبهم عن معانى الحـــروف ، ومحاولـــة الرجـــوع إلـــى النصوص نفسها من خلال دراسات تطبيقية متنوعة ومختلفة .

كما يجدر الانتباه إلى اثر حرف الجر فى تغيير [٨٤] معنى الفعل أو الاسم الـــذى يعمـــل عمل الفعل ، ففى قوله تعالى : " قال : أراغب أنت عن آلهتى يا إبـــراهيم [٨٥] – وغلـــى ربـــك فارغب [٨٦] " إن حرفا الجر (عن – إلى) كان لهما الدور الأهم فى معنى (راغب – ارغـــب) ومن ثم فالقضية فى حرف الجر ليست فى الأثر الإعرابى فقط ، بل فى الأثر الدلالى والبلاغى فى الفعل أو ما يعمل عمله ، وفى الجملة بشكل عام .

ولا يقتصر الأثر الدلالى على حرف الجر فقط ، بل يمتد أيضاً إلى الظرف الذى يمكـــن أيضاً أن يكون له دور فى المعنى ، مثل : " ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق [٨٧] " إن (افـــتح) هنا بمعنى (احكم) والسبب استخدام الظرف (بين) بدليل أن الفعل يأتى فى معانٍ أخرى مـــع حرف الجر ، قارن ما سبق بـــ " إنا فتحنا لك فتحا مبينا [٨٨] " المعنى : نصرناك على عـــدوك ، وهكذا .

بل هناك عديد من القضايا المتصلة بحرف الجر هى بحاجة إلى الدراسة ، مثل :
أ – حرف الجر الزائد : فى قول الله تعالى : " ما جاءنا من بشير – يغفر لكم من ذنوبكم " تقدير الكلام : (ما جاءنا بشير [٨٩] – يغفر لكم ذنوبكم [٩٠]) حرف الجر فى الآيتين زائد ، ولذا فإن ما

---

(١) قمت بدراسة (أثر حرف الجر فى دلالة الفعل فى القرآن الكريم ، دراسة على تفسير ابن كثير " مجلة كلية التربية بدمياط الجديدة ، عدد يوليو ٢٠٠١ م .
(٢) ٤٦ مريم .
(٣) ٨ الشرح .
(٤) ٨٩ الأعراف .
(٥) الفتح .
(٦) ١٩ المائدة .
(٧) ٣١ الأحقاف .

بعده يعرب حسب موقعه من الإعراب ، كأن حرف الجر ليس موجوداً ، وكل تأثيره أن ما بعده يعرب بحركة مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد .

هذا ما يقول النحاة ، وكل هذا بحاجة إلى دراسة وإعادة نظر ، فهذا الحرف زائد ، وما بعده يعرب بحركة مقدرة ، كل هذا يدخل فى إطار الدرس النحوى ، ولكن الأمر بحاجة إلى دراسة دلالية ، إذ ما الفرق فى المعنى بين " ما جاءنا من بشير " وبين : (ما جاءنا بشير) ؟ لابد من فرق دلالى وبلاغى ، وهو ما يحتاج إلى دراسة تطبق على القرآن الكريم ، أو غيره من النصوص القديمة أو الحديثة .

ب- إن حرف الجر لا يثبت على حال فى بعض الأمثلة ، يبقى أحياناً ، ويحذف أخرى ، بل وقع هذا فى القرآن الكريم ، مثل :

- زوَّج : " زوجناكها[٩١] - وزوجناهم بحور عين [٩٢] " .
- نبَّأ : " فلما نبأها به ، قالت : من أنبأك هذا ؟ [٩٣] " أى : من أنبأك بهذا .

وفى غير القرآن الكريم :

- كنّى : تقول : (كنّى المؤرخون الحسين بأبى عبد الله – كنى المؤرخون الحسين أبا عبد الله)
- صدَق : تقول (صدقت محمدا الوعد – صدقت محمد فى الوعد) .

وكل هذا بحاجة إلى دراسة تطبيقية ، وإمعان نظر لتجلية النواحى الدلالية البلاغية فى كل نواحيها وجزئياتها .

وقد علمت أن أحد الزملاء يدرس الفعل اللازم إذا تعدى ، والمتعدى إذا لزم ، وهى دراسة مهمة نأمل أن تنجز قريبا .

جـ- العلاقة بين الصيغة الصرفية وحرف الجر : هل الصيغة هى التى تستدعى حرف جر بعينه ، أم هذا الحرف هو الذى يستدعى الصيغة ، نفى مثل : " لها ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت [٩٤] " هل الصيغة (كسبت) هى التى استدعت الحرف (اللام) والأخرى (اكتسبت) استدعت الحرف (على) أم العكس كل هذا بحاجة إلى دراسة .

---

(١) ٣٧ الأحزاب .

(٢) ٥٤ الدخان .

(٣) ٣ التحريم .

(٤) ٢٨٦ البقرة .

٣- المبنيات : اختارت العربية البناء للحروف كلها ، قيل : (قاعدة كلية الحروف كلها مبنية) ثم الأمر والماضى والمضارع المتصل بنون النسوة والتوكيد ، وبعض الأسماء ، فلم اختصت كل هذى الكلمات بالبناء دون الإعراب ؟ لماذا الحروف كلها مبنية ؟ هل لصغر حجمها وبنيتها ؟ ولذا قال ابن مالك :

الاسم منه معرب ومبنى * لشبه من الحروف مدنى

فعلة البناء للأسماء شبه فى الحروف من حيث الحجم والبنية ؟ ولماذا الأمر والماضى مبنيان ، هل لأنهما أصغر فى الحجم من المضارع ، بسبب زيادة حروف المضارعة (أنيت) فى بداية الفعل ؟

وإذا كان لنا أن نقول بأن علة البناء صغر الحجم فإن هذا يحتاج إلى دراسة إحصائية على الأسماء ، المعربة والمبنية ليبين الفرق بينهما ، وإذا كانت أسباب دلالية أو غيرها فى مثل:

- صباح مساء
- يومَ يومَ .
- بين بين .
- بيت بيت .
- خمس عشرة .

وهل البناء دلالة على التعريف فإذا قلت (جئت أمسِ فقط) ببناء (أمسِ) على الكسر ، دل هذا على أننا نقصد اليوم الذى قبل يومنا على وجه التحديد ؟

ولماذا بنيت هذه الكلمات (نزالِ – دراكِ – حذار) بمعنى (انزل – أدرك – احذر) وكذا الأسماء (لكاعِ – خباث) بمعنى (لئيمة – خبيثة) ؟

قضية المبنيات برمتها ، بقضها وقضيضها بحاجة إلى دراسة متفحصة متأنية لتجلية كافة جوانبها ونواحيها .

٤- المضاف والشبيه بالمضاف : يُعرف الشبيه بالمضاف بأنه " ما اتصل به شىء من تمام معناه " نحو : يا حسنا وجهه – يا رفيقا بالعباد – يا ثلاثة وثلاثين ، فيمن سميته بذلك [٩٥] .

فهل الفرق بين المضاف والشبيه بالنضاف أن المضاف غير منون ، مثل (يا حسن الوجه – يا طالع الجبل) ... إلخ ؟ وما سر تفرقة النحاة بين النوعين ، وهل الشبيه بالمضاف مختص بالنداء فقط ، وهل هناك أمثلة من هذا النوع فى القرآن الكريم أو فى السنة المطهرة ؟ تساؤلات عديدة تستحق الإجابة والدراسة .

وعلى ذكر المنادى فإن تفرقة النحاة بين النكرة المقصودة والنكرة غير المقصودة يحتاج إلى نظر أيضاً ، فى مثل : (يا رجلا خذ بيدى – يا غافلا والموت يطلبه) المنادى نكرة غير مقصودة [٩٦] ، أو قل نكرة حقيقية ، أما عند بناء هذا المنادى بالضم (يا رجلُ خذ بيدى – يا غافلُ ...) فإن النكرة مقصودة ، كيف ؟! هل النكرة هنا غير حقيقية ؟ أسئلة بحاجة إلى دراسة .

٥- جوانب منسية فى المعجمية العربية : فى أحد مؤتمرات جمعية لسان العرب شكا أحد المؤتمرين من قلة المعاجم المتخصصة فى العربية ، ولما فتحنا الباب بعد انتهاء الجلسة كان هناك معرض للكتب به عشرات من المعاجم المتخصصة التى كان يتطلع إليها هذا الشاكى المتباكى ، وكان إلى جانبى أمِن الجمعية المصرية لتعريب العلوم ، فهمست فى أذنه : " هذى هى المعاجم المتخصصة التى يرنو إليها الزميل الفاضل " قال : " المشكلة – ياسيدى – أن الناس لا تقرأ " .

---

(١) ابن هشام : أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ٤ / ٢٢ .

(٢) السابق ٤ / ١٨ .

نعم المشكلة أن الناس لا تقرأ ، فعندنا جوانب عديدة من المعجمية العربية هـى قديمة جدا، لكنها لم تنل أى حظ من الدراسة ، أو أى نوع من الاهتمـام ، أى نـوع ، علـى مـدار تاريخها، فيما نعلم ، من ذاك :

أ – كتب تفسير الأحلام : إنها بحاجة إلى دراسة لغوية ، أو قل إلى دراسات لغوية وغير لغوية أيضا ، على سبيل المثال :

– دراسة معجمية : لأن ما ذكر هو معجم لأهم الكلمات التى كانت مستخدمة فى عصر مؤلفيها ، أو فى وقت استخدام هذى الكلمات ؛ لأن أهم الكلمات فى حياة الإنسان هى التى يحلم بها فـى المنام ، هى جزء مهم من دنيا الإنسان التى يستغرق فيها حتى فى رؤياه وأحلامه ومنامه ، بـل يصور هذا التفسير للأحلام المجتمع أصدق تصوير ، كما يصور موقف المجتمـع مـن هـذه الكلمات ، وما تعنيه ، وهذا ما نجده فى الكتب التى رتبت الكلمات حسب حروف المعجم مثـل كتاب (تعطير الأنام فى تفسير الأحلام) تأليف عبد الغنى بن إسماعيل النابلسـى الحنفـى (ت ١١٤٣ هـ) ، فهو معجم به كثير من الكلمات التى يمكن أن تكون موضع دراسة .

ففى الكتاب السابق يتحدث عن بعض المهن الموجودة فى عصره ، مثل : " المـنجم – المهندس – المجبِّر – المحتسب – المغنى – مساح الأرض – المبلط – المبيض – المغربـل – مجلد الكتاب ... " إلخ .

ويفصل الحديث عن المبيض فيقسم إلى ثلاثة أنواع : " مبيض الغزل – مبيض الحيطان – مبيض النحاس " وهذا ما يشير إلى بعض ملامح الحضارة السابقة ، لقد كـان فيهـا مبـيض القماش ، وما يسمى الآن بالنقاش ، ثم مبيض النحاس الذى انقرض منذ فترة قصـيرة بعـد أن داهمته أوانى (الألومنيوم) التى لا تحتاج إلى شىء من هذا ، ثم الصاج المطلى والصلب الذى لا يصدأ والزجاج والخرف ... إلخ " ويخلق ما لا تعلمون [٩٧] "

واقترح أن تعاد صياغة مثل هذه الكتب على شكل معجـم ، فترتـب الكلمـات حسـب المعاجم الأخرى ، فإن فسر المؤلف الكلمة أثبت هذا التفسير ، وإلا لجأنا إلى المعـاجم العربيـة لإيضاح معنى الكلمة ، ثم ثنينا على ما قيل عن تفسيرها فى المنام ، فإن هذا مما يلقى مزيدا من الضوء على دلالة الكلمة وموقف المجتمع منها .

---

(١) ٨ النحل .

مثال آخر من كتاب النابلسى : " المطمورة : المخزن تحت الأرض ، تدل رؤيتها فى المنام على الأم الكافلة المربية ؛ لأن ثبوت الطفل فى بطن أمه مكنون بمنزلة الطعام فى المطمورة يقتات من صاحبه شيئا بعد شيء حتى يستغنى عنه بغيره ... " أما المزبلة فهى فى المنام الدنيا ، والزيل المال [٩٨] ، قال الزمخشرى [٩٩] : " الدنيا كالمزبلة ، والذين اطمأنوا إليها كلاب المزابل " .

هكذا ينظر المجتمع – أو كان – إلى الدنيا على أنها مزبلة ، والمال زبل ، وينظر إلى الأم على أنها كالغذاء المطمور فى الأرض ، وهذه كلها أمثلة ، ليس إلا .

ب- دراسة دلالية : والنوع الثانى من كتب تفسير الأحلام هو هذا النوع من الكتب الذى يقسم موضوعاته حسب المجالات الدلالية ، ولذا فإنه من الممكن أن يدرس من خلال نظرية الحقول الدلالية ، التى تراها مطبقة بشكل واضح ، ففى كتاب محمد بن سيرين – وهو تابعى – (ت ١١٠ هـ) المسمى : (منتخب الكلام فى تفسير الأحلام) أبواب ، مثل :

- رؤيا الصاحبة والتابعين .
- تأويل سور القرآن .
- المسجد والمحراب والمنارة ومجالس الذكر .
- الحج والعمرة والكعبة والحجر الأسود والمقام وزمزم .
- الجنة وخزنتها وحورها وقصورها وأنهارها وثمارها .
- الأمراض والأوجاع والعاهات .
- فى الأطعمة والحلوى واللحمان وما يتصل به .
- فى الحرب وحالاتها والأسلحة وآلاتها .
- الهوام والحشرات ودواب الأرض .

وما سبق هى أمثلة فقط ، وهناك بطبيعة الحال أبواب أخرى ، فكل واحد منها هو مجال دلالى قائم بذاته ، ومن ثم فالكتاب بحاجة إلى دراسة فى ضوء نظرية المجالات الدلالية .

ب- معاجم متخصصة : وهل فى تراث العربية معاجم متخصصة ؟ نعم ، وهذا مثال ، إنه حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين ، محمد بن موسى الدميرى (٧٤٢ – ٨٠٨ هـ) مئات من أسماء

---

(١) السابق ، ٢ / ٢٧٤ .

(٢) أساس البلاغة ، مادة (ز ب ل) .

الحيوان والحشرات والأسماك ، مما يشكل معجما خاصا بهذا النوع من المخلوقات ، وهذا مثال من هذى الموسوعة :

الفَيْنة : طائر يشبع العقاب ، إذا خاف البرد انحدر إلى اليمن [١٠٠] .

القارِيَة : الطائر القصير الرجلين الطويل المنقار ، الأخضر الظهر ، تحبه العرب ، وتتيمن به ، ويشبهون به الرجل السخى [١٠١] .

القاق : طائر مائى طويل العنق .

القَتَع : : دود يكون فى الخشب يأكله [١٠٢] .

ومن مميزات موسوعة الدميرى : ضبط هذه الأسماء بصورة دقيقة ، فهو يقول مثلا : " القبر بضم القاف وتشديد الباء الموحدة ، واحدة القُبّر ، قال الجوهرى : جاء فى الشعر قُنبرة ، كما تقول العامة ، وقال البطليوسى فى شرح أدب الكاتب ، وقنبره أيضا بإثبات النون ، وهى لغة فصيحة ، وهو ضرب من الطير يشبه الحمرة ، وكنية الذكر منه أبو صابر وأبو الهيثم ، والأنثى أم العلل [١٠٣] .

ومثال آخر من المعاجم المتخصصة ، هو :

الشامل لجموع التصحيح والتكسير فى اللغة العربية [١٠٤] .

للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال .

إنه معجم متخصص فى الجموع ، أو مختص بالجموع بشتى أنواعها ، وهذى اقتباسات من الكتاب المذكور :

- (عتريف) العِتْريف : الخبيث الفاجر الذى لا يبالى ما صنع ، وجكعه : عتاريف ، وقيل العتريف الغاشم الظالم ، وقيا : الداهى الخبيث ، وجمل عتريف ، وناقة عتريفة شديدة [١٠٥] .

- (مكول) المكول بوزن صبور ، البئر قل ماؤها أو كثر ، فهى من الأضداد ، والجمع مُكل[١٠٦]

---

(١) الدميرى : حياة الحيوان ٢ / ١٩٣ .

(٢) السابق ٢ / ١٩٤ .

(٣) السابق ٢ / ١٩٩ .

(٤) السابق ٢ / ١٩٦ .

(٥) مكتبة غريب ، القاهرة ١٩٨٢ م .

(٦) عبد العال : الشامل لجموع التصحيح والتكسير فى اللغة العربية ، ٣ / ٥٦ .

٦- معجم الفواصل القرآنية : حظى القرآن الكريم بعديد من المعاجم :

أ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وضعه محمد فؤاد عبد الباقى الذى يقول فى تقديم معجمه [١٠٧] : " وإذ كان خير ما ألف وأكثره استيعابا فى هذا الفن ، دون منازع أو معارض ، هو كتاب – نجوم الفرقان فى أطراف القرآن – لمؤلفه المستشرق فلوجل الألمانى ، الذى طبع لأول مرة عام ١٨٤٢ ميلادية ، فقد اعتضت به وجعلته أساسا لمعجمى " .

ب- معجم ألفاظ القرآن الكريم : وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والفرق بينه وبين معجم فؤاد عبد الباقى أن الأخير يذكر جميع الآيات التى وقعت فيها الكلمة ، مهما زادت أعدادها، ولو بلغت مئات ، كما أنه لا يذكر المعنى ، مع ذكر عدد مرات وردها فى القرآن ، ورقم الآية واسم السورة ورقمها لكل آية وردت فيها الكلمة [١٠٨] ، مثل :

– أصفاكم : أفأصفاكم ربكم بالبنين ، واتخذوا من الملائكة إناثا ٤٠ ك [١٠٩] ، الإسراء ١٧ .

– أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ١٦ ك الزخرف ٤٣ .

أما معجم المجمع فإنه يذكر المعنى ، ولا يكرر الآيات ، بل يشير إلى موضعها فقط ، مثل [١١٠] :

أندادا : جمع ندّ ، وهو النظير .

أندادا : ط فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم لا تعلمون " ٢٢ / البقرة ، واللفظ فى ١٦٥ / البقرة أيضاً ، و٣٠ / إبراهيم ، و ٣٣ / سبأ ، و ٨ / الزمر ، و ٩ / فصلت .

جـ- معجم الأدوات والضمائر فى القرآن الكريم : تكلمة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه الدكتور إسماعيل عمايرة ، والدكتور عبد الحميد السيد ، ونشر فى بيروت ١٩٨٦ م .

د – الأفعال فى القرآن الكريم ، دراسة استقرائية للفعل فى القرآن الكريم فى جميع قراءاته للدكتور عبد الحميد السيد ، الذى نص فى المقدمة [١١١] على أنه اعتمد على عدد وافر من

---

(١) السابق ، ٣ / ٤٢٥ .

(١) ص (هـ) ، دار الحديث بالقاهرة ١٩٨٧ م .

(٢) ص ٤٠٩ .

(٣) ك = مكى .

(٤) ص ١٠٨٢ .

(٥) الجزء الأول ، ص ٧ ، جدة ١٩٨٦ م .

المصادر المختلفة ، أهمها على الإطلاق ، البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى (ت ٨٥٤ هـــ)
.

إن هذا المعجم – فى راينا – متخصص فى الأفعال فى القرآن الكريم ، يدخل فى إطار المعاجم المتخصصة أيضاً .

هـــ– معجم آيات القرآن الكريم : وضعه محمد منير الدمشقى [١١٢] ، لقد رتبــه علــى حــروف المعجم، باعتبار الحرف الأول مع ما هو أقرب إليه من الحروف حسب الإمكان [١١٣] .

ويبدو أننا بحاجة إلى معجم للفواصل القرآنية ، والتى تحتاج هــى الأخــرى لدراســة صوتية، كما درست القافية دراسة صوتية [١١٤] ، وإذا كان معجم آيات القرآن الكريم قــد رتــب الآيات حسب أوائلها ، فإن معجم الفواصل سوف يرتب الآيات حسب آخرها ، باعتبار الحــرف الأخير ، مع ما هو أقرب إليه ، وهكذا .

٦– المعجم القرآنى : لا تزال عديد من ألفاظ القرآن الكريم بحاجة إلى دراســات كثيــرة لفهــم أعمق للكتاب الكريم ، مثل :
أ – الفرق بين الإنسان وبنى آدم .
ب– الألفاظ الدالة على الاتجاهات (شرق – غرب – يمين – شمال) ... إلخ . أو الألفاظ الدالة على الدراسة الجغرافية بشكل عام ، أو فى أى علم مثل علوم : الأرض (الجيولوجيا) – النبات – الزراعة ، وغيرها .
جـــ – الألفاظ الدالة على العدد فى القرآن الكريم .
د – الألفاظ الدالة على انصباء المواريث فى القرآن الكريم (النصف – الربع – الثمن – الثلثان – الثلث – السدس) ... إلخ .
هـــ– الألفاظ الدالة على تعبيرات الوجه فى القرآن الكريم ، أو لغة الوجه فى الكتاب الكريم ، أو قراءة الوجه وحالاته ، مثل : " وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها نــاظرة [١١٥] – ووجــوه يومئــذ

---

(١) مكتبة التراث الإسلامى ، القاهرة (بدون تاريخ) .
(٢) ص ٢ من المرجع السابق .
(٣) رسالة دكتوراه بكلية الألسن ، جامعة عين شمس للدكتور محمد عونى عبد الرءوف الذى كان يــدرس لنــا العبرية فى دار العلوم .
(٤) ٢٢ القيامة .

باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة [116] – ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة [117] " إلخ ، كل هذا بحاجة إلى دراسة .

و – الألفاظ الدالة على لغة الجسم فى القرآن الكريم : مثل : " وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه – وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوَّوْا رءوسهم [118] ... " .

ز – الألفاظ الدالة على الحركات المصاحبة للكلام ، مثل : " فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها ، وقالت : عجوز مقيم [119] – وإذا لقوكم قالوا : آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ [120] " .

ح – التعديد وواو الثمانية : فى القرآن الكريم تعديد لبعض الصفات مثل : " التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين [121] – عسر ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا غير منكن ، مسلمات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا [122] " وفى هذا التعديد تجد الواو قبل الصفة الثامنة " والناهون عن المنكر – وأبكارا " ولذا سميت بواو الثمانية ، والتى لوحظت أيضاً فى قوله تعالى: " سيقولون : ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون : خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ، ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم [123] " لاحظ (ثلاثة رابعهم – خمسة سادسهم) فى حين تجد (سبعة وثامنهم)؟

٧- دراسة لغوية لكتابات العلماء المحدثين : مثل جمال حمدان (ت ١٩٩٣ م) دراسة صرفية ونحوية ومعجمية ودلالية وأسلوبية أيضاً .

٨- تصويب الأخطاء : ودوره فى إنماء روح الاهتمام باللغة ، والسعى نحو الانضباط فى السلوك اللغوى ، وغيره من أنواع السلوك ، فإن الانفلات اللغوى قرين الانفلات الخلقى والدينى والاجتماعى .

---

(٥) ٢٤ القيامة .

(١) ٢٨ عبس .

(٢) ٨٣ الإسراء .

(٣) ٥ المنافقون .

(٤) ٢٩ الذاريات .

(٥) ١١٩ آل عمران .

(٦) ٥ التحريم .

(٧) ٢٢ الكهف .

٩- طريقة المعلم فى الإملاء وأثرها فى نشر النطق الخاطئ ، وخاصة فى المراحل التعليمية الأولى ، فإن هذا الخطأ فى البداية يثبت ويتجذر ، فالتعليم فى الصغر كالنقش على الحجر ، كما يقولون .

ومن هذى الأخطاء :

أ – المبالغة فى تطويل حروف المد ، مما يعطى انطباعا لدى الطفل بأن حرف المد لا يكون إلا بهذا القدر المبالغ فيه من التطويل ، فإذا نطقت بشكل عادى (قال – يقول – قيل) توهم التلميذ أن الحركة ليست طويلة ، فكتبها : (قل – يقل – قل) لأنه تعود أن تنطق فى حصص الإملاء : (قاااال – يقوووول – قي يــ يــ يــ ل) وهكذا .

ب- قطع همزة الوصل ، خاصة مع أداة التعريف الـ ، وعدم إدغام اللام فيما يسمى باللام الشمسية ، فنسمع مثلا (أَلْطائرة فى أَلْسماء) والصح (الطّائرة فى السّماء) .

جـ- نطق أسماء الحروف بشكل خاطئ : فإن بعض الناس يمكن أن ينطق (ألفٌ – باءٌ – تاءٌ – ثاءٌ – حاءٌ ...) إلخ هكذا بالتنوين ، أو تنطق بدون الهمزة (أليف – بيه – تيه ...) وهو خطأ أيضاً ، والشائع أن ينطق عامة الناس (به – تِه – ثِه – حَه – خَه ...) والصح أن تنطق جميعا هكذا بدون تنوين ولا إعراب ، هكذا (ألفْ – باءْ – تاءْ – ثاءْ – جيمْ – حاءْ – خاءْ – دالْ – ذالْ – راءْ – زاىْ – سينْ – شينْ – صادْ – ضادْ – طاء – ظاء – عين – غين – فاء – قاف – كاف – لامْ – ميمْ – نونْ – هاءْ – واوْ – ياءْ) .

إلا إذا دخلت الكلمة فى جملة مفيدة ، فإنها تعرب وتنون ، فيقال : (هذه ألفٌ طويلة ، وباءٌ مرققة ، وتاءٌ فارسية ...) إلخ .

٩- حقل الدراسات التقابلية بين العربية وبين غيرها حقل بكر ومهم جداً لخدمة تعليم العربية واللغات الأخرى التى تقابل بالعربية ، وكذا الترجمة وصناعة المعجمات ، ليس بين اللغات الأوربية الرئيسة فقط ، أى (الإنجليزية والفرنسية والأسبانية – الألمانية – البرتغالية) ولكن بين العربية وبين اللغات الأخرى ، أوربية وإفريقية وآسيوية ... ، وهكذا .

التعريب : إن ما يحدث الآن من تدريس بغير العربية فى بعض الجامعات هو مأساة مضحكة مبكية ؛ لأن هذه اللغة المستخدمة ليست الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ... وإنما أمشاج وأخلاط مرقعة من عامى وفصيح وبعض التعبيرات والكلمات الأعجمية ، كما تسمع من بعض الناس أو المثقفة من يقول (قضينا الويك إند – ميرسى يا روحى) .

خلط بين الإنجليزية والعربية أو بين الفرنسية ولغة الضاد ، لا هو إنجليزى على جهة ، ولا فرنسى على جهة ، وبالطبع ليس من العربية فى أى شىء .

على أية حال فإن استخدام العربية فى التعليم هو أمر بدهى واستخدام غيرها من لغة أعجمية ، أو خليط من هذا وذاك هو من أهم أسس التخلف فى وطننا ، والإصرار عليه .

ومن ناحية أخرى فإن قضية التعريب بشكل عام بحاجة إلى بعض الدراسات ، ليس فى مجال التعليم فقط ، بل فى غيره من المجالات ، مثل :
أ – الألفاظ الدالة على الحلويات : مدخل لتعريب الألفاظ العامية والفصيحة ، لأن العامية هى الأخرى جزء من العربية ، يجب الاهتمام به أيضاً ، حيث تدرس الألفاظ كلها ، لنعرف العربى القح الأصيل الصراح من الأجنبى الأعجمى الدخيل ، مثل (جاتوه – بسكويت – شيكولاته) لاختيار بدائل عربية لهذى الكلمات أو تحويرها طبقا للصياغة والنموذج العربى .
ب– ألفاظ الرياضة فى الألعاب المختلفة : تدرس الألفاظ الشائعة فى كل لعبة ، من السباحة إلى كرة القدم واليد والطائرة والسلة والملاكمة والمصارعة ... إلخ لمعرفة العربى من الأعجمى ، بدءا من اسم اللعبة نفسه مثل (الجولف – التايكندو – الرجبى) إلى باقى الألفاظ المستخدمة فى اللعبة .
جـ– الألفاظ الدالة على الملابس : والمستخدمة فى هذا المجال ، مثل : (القميص – البنطلون – البدلة – الجاكت – الكرفتة ...) ليدرس كل ذها بالشكل الذى أشير إليه فى (أ ، ب) .

١١– أثر استخدام الحرف اللاتينى فى تفشى الأمية بين المسلمين : استخدم المسلمون الحرف العربى لكتابة لغاتهم كالفرس والهوسا والألبان ولكن الاستعمار جهد فى زرع لغاته ، واقتلاع الحرف العربى واطراحة ، حتى يخلو الطريق للحرف اللاتينى ، إلا أن الشعوب اكتشفت بمرور الزمن أن الحرف الاستعمارى – كما الاستعمار كله – كان نكبة – وأية نكبة – على أم رءوسها.

لقد كان سببا فى انتشار الأمية التى فشت بين الناس ؛ بسبب من تفرتهم من الحرف اللاتينى وبعدهم عن الحرف العربى ، ومن ثم أعادت شعوب كثيرة النظر فى إطراح الحرف القرآنى ، محاولة تبنيه مرة أخرى فى كتابة لغاتها ، مثل الطاجيك الذين عادوا لاستخدام حرفنا ، واطراح الحرف الروسى ، بعد انهيار الاتحاد السوفيتى فى بداية التسعينات من القرن الماضى .

بل عادت دول إفريقية عن التعليم باللغات الاستعمارية إلى أحضان لغاتها المحلية ، بعد أن تأكدت من الثُمُر المرة للتعليم بغير لغة الأم ، إعلاء لشعار لغة الأم أولاً .

ففى مقال سامبا تراورى [124] (التدريس التقاربى) [125] فى مالى وأثره على نظام التعليم ، نشير إلى بعض الحقائق التى أكد عليها الباحث :

أ – قامت مالى مثلها فى ذلك – مثل عديد من الدول الإفريقية – بإصلاح شامل فى نظامها التعليمى بعد حصولها على الاستقلال عام ١٩٦٢ ، حيث لم يعد النظام التعليمى يحقق أهدافه من تعليم شامل علاى الجودة ، وقد ركز الإصلاح على استخدام اللغات المحلية فى التعليم بأسرع ما يمكن .

ب- إنه من خلال لغة الأم يحقق الطفل انطلاقه عقلية فى السنوات الأولى من المدرسة ، فلغة الأم هى العامل الأساسى للمساواة ، والتى يصبح عقل الطفل بدونها ضامراً ، إذ تمكنه من التعبير عن أفكاره بالكلمات ، ومن التوافق والانسجام مع العالم من حوله ، أما النظام المدرسى الذى ينكر على الطفل استخدام اللغة المألوفة لديه ، أو يحرمه من هذا الاستخدام أو يحظره ، فإن هذا النظام المدرسى يكون فى موقف متخلف ، أو قل هو نظام متخلف .

جـ- وعندما تم استخدام اللغة الفرنسية فقط فى التدريس أدى ذلك – ولا يزال – إلى خسارة تعليمية كبيرة وإلى معدلات عالية من الإبعاد والرسوب والتسرب ، وإلى وجود حاجز نفسى لدى المتعلم ، فاللغة هى الوسيلة الوحيدة التى تنتقل بها القيم الاجتماعية الثقافية لمستخدميها ، وتعبر اللغة الفرنسية فى مالى عن قيم وأساليب تفكير غريبة عن المتعلم المالى .

د – ووعيا بهذه الحقيقة ، وفى ضوء خبرات تدريس اللغة المتراكمة فى مجال محو الأمية أوصت الندوة القومية الثانية للتعليم (باماكو ١٩٧٨) بتجريب اللغات المحلية فى التعليم النظامى ، وفى العام التالى تم فتح أربع مدارس تجريبية للتدريس باللغة البامانانكية ، وهى اللغة السائدة فى مالى .

هـ- وسرعان ما أُثبتت استخدام لغة الأم (المحلية) أنه وسيلة ممتازة لتوافق المدرسة مع بيئة المتعلم ، وتقليل الفاقد المدرسى إلى حد كبير ، وتحسين نوعية التدريس ، ومن ثم استخدمت ثلاث لغات محلية أخرى فى التدريس عام ١٩٨٢ ، هى (لغات الفولفولد ، والسنغاى ، والتماشق) وبعد أن كانت البداية بأربع مدارس ولغة واحدة ١٩٧٩ ، انتشر التدريس باللغة المحلية عام ١٩٩١ إلى ٨٠٠ مدرسة ، وأربع لغات محلية فى جميع أرجاء الدولة .

---

(١) باحث مالى مسئول عن التدريس التقاربى فى المدارس المالية ، وتتركز نشاطاته الآن على الاهتمام باللغات المحلية .

(٢) التدريس التقاربى : التدريس بلغة الطفل أولاً ، ثم تقديم لغة ثانية بعد إتقان الأنواع المهمة من السلوك ، خاصة المرتبطة بالكتابة بلغة الأم .

و – إن لغة الطفل المحلية هى اللغة الوحيدة التى يمكن أن تطور سلوك الطفل واتجاهاته ، واستعداداته المطلوبة لكل أنواع التعليم الأخرى ، فهى تولد الثقة والانسجام بين التلاميذ ومعلميهم ، وبينهم وبين بعضهم ، كما أنها تقدم للأطفال فرصة أفضل لإدراك العالم ، واستكشاف ما حولهم ، وهى التى تحررهم مما يعوقهم ، وتنمى مخيلتهم وإبداعاتهم .

ز – والطفل الذى يتعلم القراءة والكتابة والحساب بلغة الأم ، سوف يستخدم هذه المهارات ذاتها عندما يتعلم لغة ثانية ، والتى يمكن أن تقدم له بدورها وعيا أكبر بلغة الأم وبثقافته ، وبالعالم من حوله ، ومن هنا يتضح لماذا يدافع التعليم التقاربى عن استخدام لغة الأم بقدر الإمكان فى التعليم الأساسى ، وذلك لكى نقدم له أفضل فرصة لنمو استعداداته المطلوبة لمهارة أكثر للقراءة والكتابة والحساب .

ح – ووفقا للتدريس التقاربى يجب أن يبدأ التعلم من خبرة الطفل الشخصية ، ويجب استخدام وعيه ببيئته الاجتماعية – الثقافية كإطار مرجعى ، أما الانفتاح على العالم الخارجى سيحدث بالتدريج مع تقدم الطفل فى المدرسة ، وسيمكنه هذا أيضاً من الاندماج فى المدرسة ، واعتبارها جزءا مقبولا فى حياته اليومية .

انتهينا من الاقتباس [١٢٦] ، ونحن نتساءل : ما رأى السادة الأماجد المُصِرِّيين – على مدارس تجريبية تعلم الطفل فى المدارس الابتدائية والحضانة أيضاً بلغة أجنبية أو أكثر ، بل يعلمون الطفل المسكين فى الحضانة القراءة والكتابة وفى الحضانة بالعربية وباللغة الأجنبية فى وقت واحد ؟ يا للهول من هذه القسوة والتخلف فى ذات الوقت ؟ .

١٢- أثر القرآن والعربية فى غير العرب : يبدو للقرآن الكريم أثر كبير فى بعض الناس من غير العرب الذين لا يعرفون العربية ، لقد وقفت إحدى الخادمات تستمع إلى جارة تتلو القرآن فى شقتها ، بعدها ما لبثت أن تحولت إلى الإسلام بعد هذا الموقف .

ولذا لا عجب أن تقوم بعض المصحات الأمريكية بإسماع نازلتها آيات الكتاب الكريم بصوت الشيخ محمد رفعت – رحمه الله – ثم يرون أن التحسن إلى الشفاء يكون من نصيب هؤلاء المستمعين .

يقول ربنا : " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال يضربها للناس لعلهم يتفكرون [١٢٧] " .

---

(١) مجلة مستقبليات ، ص ٤٤٥ – ٤٤٧ ، عدد سبتمبر ٢٠٠١ ، مطبوعات اليونسكو بالقاهرة .

(٢) ٢١ الحشر .

ومن ناحية أخرى فإن تأثير العربية يُرى عند غير العرب ، وغير المسلمين ، فهم يتأثرون حتما بالقيم والمبادئ التى تحملها العربية إليهم ، فاللغة ليست ساعى بريد ينقل الرسالة من هناك إلى هنا ، أو العكس ، وإنما اللغة – سيما العربية – لها بصمات واضحات على مستقبليها ومتعلميها ومتقنيها وأصحابها .

بل من الملاحظ أن العربية تجتذب أقل العناصر – من الأجانب – الذين يتعلمونها ويدرسونها ، بل ربما يكرسون حياتهم من أجلها ، كما فعل كثير من المستشرقين .

ففى كتاب روبرت كابلان (الحملة الأمريكية – مستعربون وسفراء ورحالة) روى كيف احتدم الصراع بين من سموا (المستعربين) الذين يعرفون العربية فى وزارة الخارجية الأمريكية وبين زملائهم ممن لا يعرف العربية ، فقد رأى الفريق الأول المستعرب أن انحياز أمريكا المطلق إلى إسرائيل لا يخدم المصالح الأمريكية ، خاصة فى الشرق الأوسط ، وكان هذا بدافع الإخلاص لبلدهم ، والانحياز إلى الموضوعية والاتزان والنزاهة .

ولكن الطرف الآخر ذهب إلى الرأى المعاكس ، مدعيا أن من الممكن الانحياز الكامل لإسرائيل ، مع كسب ود العرب أو على الأقل كسر شوكتهم ، وأَمْن جانبهم عن طريق فرض سلام – أى سلام – فى المنطقة ، وتقوية شوكة الحكومات والنظم العربية لفرض وجهات النظر الأمريكية والإسرائيلية ، أو قل الأمريكية – الإسرائيلية .

فإذا ذهبنا عن السياسة بعيدا شيئا ما ، أو إلى حد ما فإنا نقدم شيئاً من شهادة أحد المستشرقين الذى عملوا بالخارجية الأمريكية ، وكان سفيرا لحكومته بالرياض ، يقول هيوم حوران [١٢٨] : " اللغة العربية كلم الله ، سبقت رسالات بلغت للناس على نحو أو آخر بالعبرية فى العهد القديم ، أو اليونانية فى العهد الجديد ، لكن القرآن الذى نزل عربيا ليس تاريخا أو سيرة – مثل الإنجيل – بل هو وحى منزل ، ولهذا فاللغة العربية أكثر اللغات وشيجة مع السماء ، وهى بهذا تختلف عن الإنجليزية التى تمثل كاتدرائية متشابكة الأركان ترحب بالقاصدين .

أما العربية فهى نظام محكم الإغلاق يقاوم استعارة الكلمات ، مثل جهاز يروعك منه المنطق ، ثم تبهرك سلاستهُ وسهولة أدواته ، إذ يبدأ فى الحركة ، وينتفض بالوجيب ، وما إن يتوافر لك معرفة اللواحق والسوابق من الكلمات فتودعها ذاكرتك ، ومعها الأفعال المجردة – الثلاثية الصوامت – حتى يصبح بوسعك أن تشكل أية كلمة تخطر على البال .

---

(١) السابق ، ص ٤٤٠ – ٤٤٤ .

يبدو الأمر وكأنه التحام نطفة بأخرى ، فى إطار يستمد أصوله من العقيدة ، حيث المدد عميق وكثيف ، أين هذا من الإنجليزية ؟ حيث لا سبيل إلى أن تعيش المعانى الأصلية للكلمات ، إلا إذا درست اليونانية أو اللاتينية .

والمشكلة الأخرى أن العربية من أجمل ما تسمعه الأذن من إيقاع ؛ ومن ثم تجد نفسك ترتبط بأكثر من سبب مع هؤلاء القوم بحكم أسلوب البلّور الذى تتشكل به لغتهم فى فضاء الله الواسع ، لهذا أعرف كيف قصر المترجمون الإنجليز عن مجاراة معانى القرآن .

من آيات القرآن ما يمكن اعتباره استكمالا لتشريعات اللاويين – أتباع موسى ، عليه السلام – لكن ، لله در القرآن إنه يأخذك عبر سورة البقرة فى تكرار وئيد ، ثم إذا به يروعك بوحى يتفجر بسرعة البرق ، يفاجئك ، ويزلزل كيانك بمعدل ثلاثة آلاف قدم فى الثانية الواحدة .

على أن العرب قوم موحدون من أهل الصحراء لم ينل منهم حلم المنّ والسلوى بعد الدياسبورا – الشتات – الذى نزل بأهل الغرب – العبرانيين – ولعلهم بهذا كانوا عازفين عن الصور المزوقة ، بل هم يطوون الجوانح – كما يقول المستشرق لورانس – على أنقى وأصلب عقيدة ، تصل إلى مستوى الرياضيات .

لهذا فهم ينجذبون نحو المجرد ، وليس الحسى ، ولهذا أيضاً لم يك من إبداعاتهم فنون الرسم والنحت وغيره من فنون التشكيل والتجسيم ؛ ومن هنا يقول أستاذ هوران سير هاملتون جيب : إن الوسيلة الأساسية التى اختارها العرب للتعبير عن حس الجماليات لديهم كانت الكلمة واللغة ، وتلك أروع الفنون فتنة ، وهى بالتوكيد أكثرها خطرا ، ويرى الأستاذ جيب أن الكلام هو أعظم الفنون ، والفن كثيرا ما يكون سحرا [١٢٩] .

لقد جاء الإسلام فى القرن السادس وسط عالم من الفوضى السياسية والانحلال الاجتماعى ، وأصبح من واجب محمد ﷺ على خلاف عيسى – عليه السلام – أن يحمل على عاتقه مهمة لا تقتصر على الدعوة إلى الدين الجديد فحسب ، بل إلى إقامة نظام اجتماعى وسياسى أيضاً .

لهذا أقام محمد ﷺ مجتمعاً جديداً ، لا يقوم على آصرة الدم ، بل على وحدة العقيدة ، هذا الصرح الاجتماعى الجديد أثبت أنه قادر على الاستمرار ، والذى حدث أن مفكرى الأمة المسلمة

---

(١) فى الحديث الشريف : " إن من البيان سحرا ، وإن من الشعر حكمة " رواه الترمذى .

أبعدتهم السياسة فيما انجذبوا لغويا نحو المثالى والمجرد ، شرعوا يركزون الاهتمام على أصول دينهم فحسب ، وعلى حكم الشرع فيما يصفه هوران نفسه بأنه عالم يروم انقسام [١٣٠] الشـــعرة ، والطموح إلى الكمال بغير حدود .

هنالك تجاهل المفكرون أمر السياسة ، ولم يحاولوا إضفاء الشرعية على وقائع الحيـــاة السياسية ، على النحو الذى تفعله الآن الدول القومية المعاصرة ، كل هذا يتم فى إطـــار عـــالم يدور حول مبدأ البقاء للأصلح ، وهو ما يجعل الشرق الأوسط من الخطورة بمكان " .

يقول روبرت كابلان [١٣١] : " إن صفة الاستعراب ما هى إلا جانب من جوانب الاستنارة المشبعة بروح الدراسات الإنسانية ، ومن ثم فهو يشكل رادعاً فوريـــاً أمـــام أى لـــوبى مؤيـــد لإسرائيل يفضل الطريق السهل " وفى مكان آخر من نفس الكتاب [١٣٢] : " هيوم هـــوران يـــتكلم العربية بطلاقة – هكذا يضيف السفير هارت [١٣٣] – وكأنه براهما من حكماء بوسطن ، بعـــد أن أقسم هوران اليمين كسفير فى الرياض – ١٩٨٧م – بدأ يلقى أبياتاً من الشعر العربى ، يحفظها عن ظهر قلب ، لست أعرف ما هى ، لكنها كانت عذبة فى الأسماع " ولذا فقد وصف هـــوران بأنه : " أفضل من تكلم العربية فى تاريخ إدارة الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية [١٣٤] " .

١٣– المتكلمون بالعربية من غير العرب فى وسائل الإعلام : بعد أحداث الحادى عشـــر مـــن سبتمبر ٢٠٠١ وما تبعها من غزو لأفغانستان ثم الانتفاضة الأخيرة ، انتفاضة الأقصى ، ومـــا تبع كل هذا من مناقشات وأخبار وتحليلات فى الإذاعات العالمية والفضائيات العربية والعالمية ، برز المتحدثون بالعربية فى هاتيك البرامج ، خاصة غير العرب . وهذا ما يشير إلى أن عـــددا ليس بالقليل من غير العرب يتكلم لغتنا ، ليس من العرب فى المهجر فقط ، وليس من المسلمين فقط ، بل من كثير من المتخصصين والأكاديميين وبعض المســـئولين الكبـــار ، بعضـــهم فـــى الخارجية الأمريكية والبريطانية ... إلخ .

وهو ما يحتاج منا إلى :

---

(١) الدقة الشديدة .
(٢) السابق ، ص ٤٤٨ .
(٣) ص ٤٥٢ .
(٤) السفير بارك هارت الذى سبق هوران سفيرا فى الرياض .
(٥) ص ٤٦١ .

أ – دراسة إحصائية عن عدد المتحدثين بالعربية مقارنة بالمتحدثين بالإنجليزية – مثلاً – في فضائية عربية بعينها كالجزيرة أو المنار ، أو إذاعة متحدثة بالعربية ، هنا لندن ، أو غيرها ، وذلك خلال مدة معينة ، شهر أو أكثر .

ب- إجراء دراسات على عربية هؤلاء الأجانب ، صوتية وصرفية ونحوية ودلالية وأسلوبية ، فل يغلب على هذى العربية العامى أو الفصيح ، هل هى مفهومة بدرجة كافية ، ويسر وسهولة ، وهل يفهم المتحدث العربية التى يسمعها فى البرنامج بسهولة ؟ .

١٤- اللغات الخاصة وتطورها : مثل لغة الآباء فى فترة ما ، كالخمسينيات أو الستينيات فى مصر فى القرن الماضى ، ففى بعض جوانبها صورة من تقارب العامية مع الفصحى ، ويحتاج إلى دراسة حالة ، كما نفعل فى لغة الأبناء فى طفولتهم ، فمن تعبيرات الآباء فى هذه الفترة :

- (يا مِخْوِل) يقولها الأب لابنه عندما يعبر عن ضيقه من ابنه ، ويقصد أنه شبيه بخاله ، مما يشير إلى شدة ارتباط الأسرة بالأخوال ، واسرة الزوجة أكثر من أسرة الرجل .
- (أينما يُوجهه لا يأت بخير) وهو اقتباس من الآية الكريمة فى سورة النحل [١٣٥] ، وهو تعبير عن اليأس من أى خير يأتى من قبل بعض من يتعامل معهم .
- (فلان حصاوى) أو حمار حصاوى ، إذا أراد أن يصفه بسوء الفهم أو سوء الفعل .

١٥- أسماء الأسر العربية ، فى مصر – مثلاً – دراسة على ألف أسرة مصرية ، فمنها اسر تنتهى بالكنى (أبو الخير – أبو السعود) أو النسب إلى المهن (النجار – الحداد – العطار) أو بلد (المصرى – الشرقاوى – الصعيدى – الحضرى) وكل هذا بحاجة إلى دراسة .

١٦- المصطلح التربوى المعرف : من خلال البحوث ، ففى بداية البحوث تعريف بالمصطلحات، وهى بحاجة إلى دراسة لغوية ، ففى بحث (مدى توظيف طلاب المرحلة الثانوية بسلطنة عُمان لعمليات الإنشاء فى مواقف الكتابة التعبيرية [١٣٦]) تحدث عن

---

(١) آية ٧٦ .

(٢) للدكتور أمير صلاح هوارى ، مجلة كلية التربية بدمياط الجديدة ، العدد السابع والثلاثون ، يوليو ٢٠٠٢م.

مصطلحات الدراسة (عمليات الإنشاء – عملية التخطيط – عملية التأليف – عملية المراجعة – توظيف العمليات) .

انظر إلى كلمتى (عملية عمليات) إنها ليست عمليات عسكرية ، أو جراحية ، فعملية المراجعة كما عرفها الباحث [١٣٧] : " جملة الإجراءات الفنية ، وأنماط التقويم اللغوى التى تتيح للكاتب أو المنشىء إعادة النظر فى مادة الكتابة بكل أبعادها الفنية والتنظيمية بهدف الارتقاء بمستوى الكتابة ، من حيث الشكل والمضمون والأساليب ، ويعبر عنها بالدرجة المتحصلة على الفقرات من المقياس المعتمد فى الدراسة الخاصة بهذه العملية " .

ومثل هذى المصطلحات المعرفة فى البحوث التربوية بحاجة إلى دراسة لغوية ، خاصة على المستوى الصرفى والدلالى ، فإن هذا الاستخدام فى المصطلح التربوى يمثل فى جانب كبير منه نوعا من التطور الدلالى للكلمات .

١٧- التخصص والانغلاق : نعم للتخصص والتدقيق ، لا للانغلاق على هذا التخصص ، لا يعرف غيره ، لأن هذا الانغلاق سوف يؤدى إلى الانعزال عن الأمة وهمومها ، وفى النهاية عدم معرفة حاجة الأمة من هذا التخصص ، والقدر المطلوب ، والكيف أيضاً ، ويكون بهذا كالمهندس الذى يصمم البناء فقط ، دون أن يهتم بشىء آخر غير تخصصه ، فلا يهتم – مثلاً – بشبكة المياه والكهرباء والغاز ... إلخ ، لابد أن تكون لديه فكرة عن هذى الشبكات أو غيرها من عناصر المبنى .

وهكذا المتخصص السجين فى تخصصه فاللغوى لابد أن يكون على وعى بالمجتمع من حوله ، سيما الواقع اللغوى لهذا المجتمع ، وماذا يحتاج مجتمعه من هذا التخصص ، وكيف يقدم علمه إلى المجتمع من حوله .

لقد وصل بعض الجهابذة إلى درجة انتقاد مجمع اللغة العربية على الملأ فى مؤتمر دولى حاشد ؟ لماذا أيها الجهبذ الكبير ؟ لأن على المجمع أن يقر صيغة كذا مما يقول الناس ، ولكن باحثة من الحضور وفى عمر بناته أو أحفاده تقول له أمام الجمهور (لقد أقر المجمع هذا فى بدء نشأته ، أى قبل أن تدخل المجمع بخمسين سنة) فربما كان هذا الجهبذ عضوا محدثا فى المجمع .

---

(١) السابق ، ص ٤٦ .

وكذا فعل الشيء نفسه الدكتور رمضان عبد التواب – رحمه الله – فقال للمتحدث سيدى : لقد كنت حاضرا فى الجلسة التى أقر المجمع ما تطالب به .

أى أن الانغلاق على التخصص والانئسار داخله لا يجعله المتخصص ينعزل عن مجتمعه فقط ، بل عن أجزاء من مجالات تخصصه ، أو عن بعض المجالات اللصيقة بدراسته ، أو عن بعض المعلومات المهمة التى تهمه فى دراساته ؛ لأنه لم تقع فى دائرة تخصصه التى ضيقها على نفسه ، وهذه أمثلة لبعض الكتب غير اللغوية والتى يمكن أن تحوى معلومات لغوية مهمة ، من وجهة نظرى :

أ – حسن وجيه – مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى [١٣٨] : كتاب يعج بمعلومات وقضايا لغوية بالغة الأهمية ، وهذى بعض الاقتباسات [١٣٩] :

إن اهتمام اللغويين بتحليل النصوص وتحليل المناقشات فى العقدين الأخيرين والذى صاحبه مزيد من البرامج التكاملية فى علم اللغة قد اجتذب العديد من المتخصصين فى معظم المجالات فى إطار هذه البرامج التكاملية وأصبح ناتج هذه البرامج يصب فى محاولات الإجابة عن أسئلة مركزية تهتم بها النظرية اللغوية الكبرى ، هذه الأسئلة تتعلق بـ .

- كيف تستخدم التركيبات النحوية والدلالية والوظيفية لتحقيق هدف اتصالى ما ، فى سياق اجتماعى ، أو قانونى أو تعليمى أو أدبى أو دينى .
- ما طبيعة وظائف وآليات لغة الحوارات المختلفة ومبادئها وأثرها فى عمق النصوص وتماسكها واتساقها ؟ وما هى وسائل اكتشاف الأنماط الكامنة عبر النصوص ؟

ب– دين ألان فوستر – المساومة عبر الحدود [١٤٠] : وقد أفدت كثيرا من هذا الكتاب ، خاصة فى تعليم العربية لغير العرب ، والكلام مع غير العرب بشكل عام ، إذا ينصح الكتاب عند الحديث بلغتك مع الأجنبى :

- تحدث بلغة بسيطة ، استخدم كلمات وعبارات قصيرة ، سهلة وشائعة ، وواضحة .
- تجنب استخدام الكلمات التى لها أكثر من معنى .
- تحدث ببطء .

---

(١) عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٤م .

(٢) ص ٧٤ .

(٣) ترجمة الدكتورة نيفين غراب ، الدار الدولية بالقاهرة ١٩٩٧م .

- استخدم الحركة والإيماءة بديل الكلمة – أو مع الكلمة – ما أمكن .
- لا تحول الأسماء (الأعلام) الشهيرة إلى أفعال ، مثل (لبنن – فتن) من (لبنان – فيتنام)
- لا تستخدم كلمات قد يكون لها معنى مختلف لدى مستعميك مع تجنب استخدام الألفاظ بشكل بلاغى ، أو بلهجة محلية .
- الأمر المضحك فى ثقافة ربما لا يكون كذلك فى ثقافة أخرى ولذا فإن المزاح مع الأجنبى له محاذيره المنطقية .

جـ- هنتنجتون – صدام الحضارات [141] : أشار إلى أن عدد المتكلمين باللغات الأوربية – خاصة الإنجليزية – يقلون ، فى حين يزيد عدد المتكلمين بلغات أخرى ، منها العربية ، كما أشار إلى عودة الطاجيك لكتابة لغتهم الفارسية بالحرف العربى ، كما ذكر أن : " الاقتباسات التركية والعربية والرواسب اللغوية التى خلفتها الإمبراطورية العثمانية على مدى ٤٥٠ سنة فى البلقان ، قد عادت مرة أخرى إلى الرواج فى البوسنة " .

أظن أن أحداً من حبساء التخصص وأُسَرائه لا يتصور أن يتكلم صاحب صدام الحضارات حول اللغة ، أو قل حول العربية ، أو يشير من بعيد أو قريب عن لغة العرب ، أو أن يفكر أحد فى العودة إلى الحرف العربى ، بل ربما لا تعدم أن تجد بعض دكاترة العربية أو مدرسيها يستنكف نشر العربية بين غير العرب ؟ لأن هذا يهدد التعددية الثقافية ، فى حين تجد فى الطرف الآخر من يشدد على العرب تشديدا وتشددا فى تعليم اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوربية .

وفى إحدى المؤتمرات الخاصة بتعليم العربية قال أحد المعلقين فى مداخلته : (كانت اللغة الأندونيسية تكتب قبل ذلك بالحروف العربية ، ولكن ربنا رحم الأندونيسيين من هذا بالحرف اللاتينى) .

هذه صورة من تفكير بعض دكاترة العربية ومدرسيها ، فهل ترى أمثال هؤلاء يمكن أن يسهم فى تعليم لغتنا والرقى بها ، بل إنقاذها مما هى فيه ؟؟

١٨- الألفاظ الدالة على الأصوات : من عبقرية العربية أن جعلت لكل صوت لفظا خاصا به ، مثل [142] :

---

(١) ترجمة طلعت الشايب ، القاهرة ١٩٩٩م .

(٢) الثعالبى : فقه اللغة ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

- الصهيل صوت الفرس .
- الخوار للبقر .
- الثغاء للغنم .
- الزئير للأسد .
- العُواء للذئب .
- النباح للكلب .
- الشخير من الفم .
- النخير من المنخرين (الأنف) .
- الفرقعة من الأصابع .
- الكرير من الصدر .
- الزمجرة من الجوف .
- القرقرة من الأمعاء ، إلخ ، إلخ ، إلخ .
- وهذا المجال الدلالى ، أى الألفاظ الدالة على الأصوات فى مثل ما سبق بحاجة إلى الدراسة .

ما سبق بحاجة إلى الدراسة :

١٩ – الألفاظ الغريبة : الحوشية والوعرة ، بحاجة إلى دراسة أصلها وفصلها ، وكيف جاءت ، وما هو معيار الحكم عليها بهاتيك الأوصاف (الغرابة – الحوشية – الوعورة) هل بسبب قلة استخدامها ، هل كان هذا الحكم بعد استقصاء وإحصاء ، أم ماذا ؟ كل هذا بحاجة إلى الدرس والفحص ، وهذى بعض أمثلة [١٤٣] :

- المَخِن الطويل .
- المِدّان الماء الملح الشديد الملوحة .
- انهَدغ الشىء انشدخ .
- المُنْهدغ اللين من الطعام .
- الوَشَز شدة العيش .

هذا قُلّ من كثر ، ونزر من بحر ، وغيض من فيض ، تؤمل دراسته وتجلية حقيقته .

---

(١) المعجم الوسيط .

٢٠- ممارسة العربية : إن علة العلل فى تعليم العربية لأبنائها ولغيرهم هـــى عـــدم ممارســـة العربية حتى فى داخل الفصول ومع معلميها الذى يشرحون الفصحى بالعامية ، التى لا يعرفون غيرها وهذا ما يحدث عن تعليم العربية داخل الوطن العربى .

أما خارج الوطن ومع الأجانب فإن اللغة الوسيطة ، أو لغة الطالب هى سيدة الموقــف ، وليس العربية ، على أن بعض المعلمين والأساتذة ربما يستخدم العربية داخل الفصل فقط ، وفى أيام الدراسة ، ليس إلا ، فإذا ما انتهت المحاضرة أو الحصة ، أو الفصل الدراسة فإن العربيـــة تصبح فى خبر كان الناقصة ، ليس التامة .

وفضلاً عما سبق فإن ممارسة العربية خارج الفصول ، أو فى النشاط اللاصـــفى هـــى كالعنقاء والغول والخل الوفى ، ربما لا يكون لها أثر أو ظل على أرض الواقع ، ألبتة ، ألبتة .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وآخر دعوانا
أن الحمد والشكر لله ، ربنا رب العالمين

٢٢ / ٥ / ٢٠٠٢ د. أحمد مصطفى أبو الخير
الموقع www.geocities.com/abu_elkher